هبــة اللــه بن ملــكا
ونظرته الى المعارف والعلوم

د٠ مريزن ســعيد عســيرى(*)

مقـــدمة :

حفل تاريخ الحضارة الاســلامية بالعــديد من الشخصيات العلمية البارزة التى كان لها دور رائد فى تطور العلوم بشكل عام ، بل أن بعضهم أنجز من الأعمال العلمية ما يمــكن اعتباره اكتشــافات جــديدة اثرت فى مسيرة الحضارة البشرية ٠

وقد تناول المستشرقونالعديد من هذه الشخصيات الاسلامية بالدراسة والتحليل ، وقضى البعض منهم ســـنين عـــديدة فى دراســة آثار هؤلاء العلماء ، مثلما فعل المستشرق سخاو مع البيرونى ٠ حتى أوضح أن ذلك العالم من أعظم الشخصيات التى ظهــرت فى العصـــور الوسطى ، وأنه لولا دراساته لتأخرت مسيرة علم الفلك قروناً عديدة ٠

ومن علماء المســـلمين الجديرين باهتمام الباحثين ، أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى ، الذى تبدو عبقريته فى كتابه (المعتبر فى الحكمة) ٠ ويعتبر هذا الكتاب أفضـــل ما ظهر حتى عصره فى موضوع الحكمة ، اذ اشتمل على دراسات قيمة كانت وليدة أفكاره المحضة بعد أن حرر فكره من آراء السابقين ٠ لقد حاول بشكل جدى أن يقـــدم دراسة مبنية على الفكر والتأمل واعمال العقــل فى صحيفة الوجود ، كما قال ، فعالج فى دراساته تاريخ المعرفة والعلم : بداياتها وتــكونها وكيف تتم ، والعلاقة بين المعرفة والعلم ، حتى توصل الى اكتشاف المعـــرفة العلمية (الابستيمولوجيا) وكان ذلك أجمل ما تحدث عنه فى الجزء الأول من

( ) أستاذ مشارك بقسم الحضارة والنظم الاسلامية ـ جامعة أم القرى ٠
(مجلة المؤرخ العربى)

كتابه المخصص لدراسة علم المنطق • أما الجزء الثانى من كتابه ، فقد خصصه للحديث عن العلوم الطبيعية بأقسامها وتفصيلاتها • ومن يطلع على هذا الجزء من كتابه هذا ويتفحص دراساته ومباحثه بروية وتأمل، يدرك أن المؤلف قدم دراسات جديدة ، وتوصل الى حقائق علمية محضة، دعمها بالبرهان والدليل العقلى • ويبدو أن أغلب ما توصل اليه من جديد كان سببه اعتماده فى ذلك على الملاحظة الدقيقة ، والتجربة أحيانا ، ثم استنباط النتائج• كل ذلك أدى به الى أن يحلل ويفسر الكثير من الظواهر الطبيعية بشكل واقعى ومنطقى • وهكذا فان ما توصل اليه علماء عصر النهضة الأوروبية فى كثير من الانجازات سبقهم اليها هبة الله بن ملكا ، وخاصة فيما يتعلق بظواهر الحركة والجاذبية وحركة المياهالجوفية ولاسيما العيون الفواره ، وغير ذلك كثير •

أما الجزء الثالث من كتابه هذا فقد أفرده للحديث عن الالهيات وما وارء الطبيعة • وعلى الرغم من اقتفائه منهج أرسطو فى دراسته هذه ، الا أنه لم يتبعه فى رأيه ولم يقر آراء من اتبعه من الحكماء والفلاسفة ، بل كانت آراؤه مبنية على تفكيره الخاص وما توصل اليه بعقله • وقد شهد له شيخ الاسلام ابن تيمية بذلك •

وفى هذه الدراسة نقدم عرضا عن شخصية ابن ملكا وحياته العلمية، مما نعتبره المدخل أو الخطوة الأولى لدراسة آرائه وأفكاره فيما يخص المعرفة والعلم ، وخاصة ان كتابه المعتبر فى الحكمة لم يجد حتى اليوم الاهتمام الذى يستحقه من قبل الباحثين فى تاريخ العلوم الاسلامية •

وتنقسم هذه الدراسة الى قسمين : ـ

القسم الأول : ونتناول الحديث فيه عن شخصية المؤلف وحياته العلمية وأهمية كتابه (المعتبر فى الحكمة) •

والقسم الثانى : وقد افردناه لآرائه ودراساته فى المعارف والعلوم•

★ ★ ★

القســـم الأول

ابن ملــكا حياته ، ثقافته ومصنفاته

حيـــاته :

هو أوحد الزمان أبو البركات هبة اللــه بن على ملــكا البغدادى ، ولد فى بلد(١) ، ولكن نشأته واقامته كانت ببغداد ٠

وعلى الرغم من المكانة العالية التى حظى بها فى حياته سواء فى النواحى الثقافية والعلمية والتطبيبية أو الاجتماعية ، الا أن المصـــادر المختلفة التى كتبت عنه لا تعطينا صورة كاملة ومفصلة عنأحداث حياته٠ ويكفى أن نعرف أن الرجل كان من أساطين المعرفة ، ومن الفلاسفة القلائل الذين يظهرون على مسرح التــاريخ بين الأونة والأخـــرى ، وقد لقب بأوحد الزمان ، وبفيلسوف العراقين(٢) ، ولم يعرف فى الفترة الواقعة بعد ابن سيناء من بلغ رتبته فى العلوم الحكمية ، بل ان مباحثه ودراساته فيها فاقت من ظهر قبله على مر العصور ، ومن جاء بعده حتى غروب شمس الحضارة الاسلامية ٠

ومع علو مكانته ، وأهمية كتابه « المعتبر فى الحكمة » الا أن تقييم جهوده فى هذا الكتاب لم يتم الا فى العصور اللاحقة ، لا سيما فى العصر الحـــديث ٠

والواقع انه مما يستثير الدهشة حقا أن شخصية لها هذه المكانة من سمو الفكر تظل بعيــدة عن أضـــواء الباحثين ، فى حين حظى غيرها بالكثير من التقدير والاجلال فى كتب التراجم وكتابات المؤرخين ٠ ذلك أنه على الرغم من كثرة كتب التاريخ والتراجم التى ظهرت فى زمنه أو

---

(١) بلد : ذكر ياقوت عدة مواضع بهـــذا الاسم ، على أن الأرجح منهـــا وهو ما يعنينا هنا أنها مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، وينسب لهذه البلدة العديد من العلماء المسلمين ٠ ياقوت : معجم البلدان حـ١ ، ص ٤٨١ ٠

(٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ٠

بعده بقليل الا أن أحداً لم يعطه حقه من العنـــاية ، اللهم ســـوى تلك المؤلفات التى ظهرت بعده والتى تعرضت لسير الأطباء والحكماء ، ومع ذلك فان هذه الاشارات الى ابن ملكا وكتابه جاءت غير كافية ولا تتوازى مع شهرته الفكرية وما تميز به عن نظرائه فى العصور الاسلامية ٠

من ذلك أن المصادر لم تمدنا بمعـــلومات كافية عن ولادته ببلد ، وكذلك سنة وفاته نم تحظ باتفاق بين ســـائر من كتب عنه ٠ ومثل ذلك يقال عن اسلامه وحياته ٠

يقول البيهقى أنه توفى سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ٠ ويعلل لوفاته بأنه لم يوفق فى علاج السلطان مسعود بن محمـــد بن ملـكشاه(٣) بســبب قولنج(٤) أصابه ، فخاف ابن ملكا على نفسه فمات ضحوة ، لاسيما وأن والد مسعود السلطان محمد بن ملكشاه(٥) كان قـــد اتهمه بالتقصير فى المداواة قبل ذلك ، مما أدى الى حبســـه فترة من الزمن(٦) ٠ على أن الصفدى يذكر أنه توفى سنة ٥٦٠/١١٤٦م(٧) ٠

أما سنة ولادته فلا تذكر المصادر شيئا عنها ، سوى أن البعض ذكر مدة حياته ، فجعلها البيهقى تســـعين عاما(٨) ٠ اما ابن أبى اصيبعة

---

(٣) مسعود بن محمد بن ملكشاه ، عقد له الخليفة المقتفى بالسلطنة سنة ٥٣١هـ/ ١١٢٦م ٠ كانت ولايته مليئة بالاحداث والحروب بينه وبين أهله من ابنـــاء البيت السلجوقى توفى سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ٠ صدر الدين الحسينى زبدة التواريخ ٠ ص ٢٠٧ ــ ٢٢٩ ، الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص ١١٧ ٠

(٤) القولنج : مرض معوى مؤلم يتعسر معه خروج ما يخرج بالطبع ، والقولنج بالحقيقة اسم لما كان السبب فيه فى الامعاء الغلاظ قولون ٠ ابن سيناء : القانون حـ٢ ، ص ٤٥٢ ٠

(٥) غياث الدين أبى شجاع محمد طبر بن ملكشاه تولى السلطة بعد وفاة أخيه بركيارق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وتوفى سنة ٥١١هـ/١١١٧م ٠ صدر الدين الحسينى : زبدة التواريخ ، صص ١٦٧ ــ ١٧١ ٠

(٦) تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ ٠

(٧) نكت الهميان ، ص ٣٠٤ ٠

(٨) تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ٠

فجعلها ثمانين عاما(٩) ، وبهذا الاختلاف الذى ذكرته المصادر فى سنة وفاته وكم عاش من السنين لايمكن بحال وعلى وجه التأكيد اعطاء سنة محددة لولادته • على أنه من المؤكد انه ولد بعد منتصف القرن الخامس الهجـــرى •

كان ابن ملكا يهودى النحلة ثم اســـلم • وتذكر المصـادر روايات مختلفة أيضـا عن كيفيـــة اســـلامه(١٠) ، ولا تهمنا هـــذه الروايات كثيرا بقدر ما يهمنا ان الاسلام جلب عليه الســـعادة ، واعطاه مركـزاً مرموقا بين عامة الناس وخاصتهم ، فعاش عيشة هنيئة ، وقصـده طلاب الطب والحكمة من الآفاق لينهلوا من علمه ومعارفه(١١) •

على أنه جاء فى المصادر أن ابن ملكا كانت أخلاقه لا تتسم وسمعته الحكمية والطبية • ذلك أنه عرف بالكبر ، هذا علاوة على التنافر الذى كان بينه وبين معاصره الطبيب الحاذق أبى الحسن هبة الله بن صاعد ابن التلميذ (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)(١٢)• ويذكر البعض فى ذلك أحداثاً حدثت بينهما ، حتى نقد بعضهما الآخر فى مجلس الخليفة(١٣) •

يذكر ابن خلكان ان ابن التلميذ كان يكره ذلك الكبر فى ابن ملكا ، فقال فيه(١٤) :

نـــا صـــديق يهـودى حماقته	اذا تـكلم تبـدو فيه من فيـــه
يتيه والـكلب اعـز منه مـنزلة	كأنه بعـد لم يخرج من التيـه

---

(٩) عيون الانبياء ، ٣٧٦ •

(١٠) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٣ ، القفطى : اخبار العلماء ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، صدر الدين الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٠٩ ؛ الشهرزورى : نزهة الأرواح ، ص ٨٠ ؛ ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٧٥ •

(١١) القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢٢٥ •

(١٢) ، (١٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ٦ ، ص ٧٤ ؛ ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٤٩ ـ ٣٧٦ •

(١٤) وفيات الاعيان ، حـ٦ ، ص ٧٤ •

وكذلك هجاه البديع الاسطرلابى بقوله(١٥) :

أبو الحســـن الطبيب ومقتفيه أبو البركات فى طرفى نقـــيض
فهـــذا بالتواضع فى الثـــريا وهـذا بالتـكبر فى الحضـيض

ويتفق ما قاله الاسطرلابى مع الواقع ، لأن أمين الدولة بن التلميذ كان مشهوراً بنبل الأخلاق والكرم والمـــروءة ، حتى ان تلامذة المدرسة كانوا يأتون اليه عند مرضهم فيطببهم بدون مقابل ، ويقـوم بخدمتهم حتى اذا شفى احدهم وهبه دينارين وصرفه(١٦) ٠

اما كيف استطاع أن يتحصل بادىء الأمر على علوم الطب والحكمة فتذكر المصادر أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحســـين(١٧) كان متفردا فى عصره بعـــلوم الطب ، وكان له مجلس علمى يتناوب فيـه التلامذة عليه ٠ على أنه لم يكن يستقبل التـــلامذة اليهود فى مجلسه ٠ وكان ابن ملكا يرغب فى أن يلتقى به ويتعلم على يديه ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ٠ وقد دعاه ذلك الى أن طلب من بواب ابن هبة اللـه ان يسمح له بالجلوس فى دهليز يستطيع السماع منه لدروس ابن هبة الله ، وما يجرى فى مجلسه من مناقشات وبحث ٠ وبعد مدة سنة طرح فى مجلس الشيخ مسألة دار حولها النقاش دون أن يتوصلوا بأمرها الى جواب شاف ٠ وحينئذ دخل ابن ملكا بعد استئذانه ، وطلب منه ان يدلى برأيه فى المسألة ، فتكلم عليها بأحسن الـــكلام ، واعجب الشيخ بذكائه وفصاحته وقال : « من يكون بهذا المثابه ما نستحل أن نمنعه من العلم ، وقربه من ذلك الوقت ، وصار من أجل تلامذته »(١٨) ٠

---

(١٥) وفيات الاعيان ، حـ٦ ، ص ٧٥ ؛ القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢٢٦ ؛ ابن أبى اصيبعة ، عيون الانباء ، ص ٣٥٠ ٠

(١٦) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٥٠ ٠

(١٧) كان سعيد بن هبة الله من المتميزين فى عصره بصناعة الطب ، ومشهورا فى علوم الحكمة ، خدم بالطب الخليفة المقتدى والمستظهر ٠ وكان موجودا الى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م ٠ وله مصنفات حسان فى الطب ٠ ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٤٢ ٠

(١٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٧٤ ؛ الشهرزورى : نزهة الأرواح ، حـ٢ ، ص ٧٩ ٠

وهكذا كان تلقيه العلم على يد الشيخ سعيد بن هبة الله الذى لازمه مدة واستملاه كتابه الشهير « التلخيص النظامى »(١٩) ٠ وعندما شعر ابن ملكا بأنه نال حظا جيدا من العلم ، بدأ يمارس أعمال الطب والمداواة وأشتهر فى الآفاق ، وأصبح له مجلس علم مشهور ، قصده التلامذة من كل مكان ، لا سيما من أهل بغداد الذين استفادوا منه كثيرا ونهلوا من معارفه وعلومه(٢٠) ، وكان أشهرهم ممن كان يملى عليهم كتابه المعتبر عندما عمى فى أواخر أيامه : جمال الدين بن فضـلان ، وابن الدهان المنجم ، وابن يوسف والد الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادى صاحب كتاب الاعتبار المشهور ، والمهذب بن النقاش(٢١) ، وهؤلاء الأربعة كانوا من كبار الأطباء والحكماء الذين اشتهروا فى زمنهم ٠

ثقافتـــه :

لقب ابن ملكا بأوحد الزمان(٢٢) وبفيلسوف العراقين(٢٣) ، مما يشير الى تفرده فى عصره بالثقافة وســـعة المعرفة والتفنن فى العلوم ٠ وعلى الرغم من شهرته الطبية ، الا أنه لم يعـــرف فى عصره والعصور اللاحقة ، ولم يشتهر الا بكتابه (المعتبر فى الحكمة) اذ كان له اهتمام بالغ بالعلوم الحكمية وفطرة فائقة فيها(٢٤) ، حتى نال مرتبة أرسطو ، وكان له طبع وقاد(٢٥) ٠

وقد اثنى عليه شيخ الاسلام أحمد بن عبـــد الحليم بن تيمية رحمه اللـــه(٢٦) فى بعض كتبه التى أفردها للرد على الفلاسفة والمناطقة ومن

---

(١٩) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٤٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ٦ ، ص ٧٥ ٠

(٢٠) القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢٢٥ ٠

(٢١) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٧٥ ٠

(٢٢) نفسه ، ص ٣٧٤ ٠

(٢٣) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ٠

(٢٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٧٤ ٠

(٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٧٤ ٠

(٢٦) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ٠

سار على نهجهم من علماء المسلمين ، وذلك على الرغم من اختلافه معه فى بعض الأمور ، فجعله من حذاق الحكماء(٢٧) ومن أئمة الفلاسفة وأساطينهم(٢٨) ، وقال عنه : « واما أبو البركات صاحب « المعتبر » ونحوه ، فكانوا بسبب عدم تقليدهم لأولئك ، وسلوكهم طريق النظر العقلى بلا تقليد ، واستنارتهم بأنوار النبوات ، اصلح قولا ... »(٣٠).

كذلك قال عنه : « وأبو البركات لما كان معتبرا لما ذكره أئمة المشائين لايقلدهم ، ولا يتعصب لهم ، كما يفعله غيره مثل ابن سيناء وأمثاله ـ نبه على أن ما ذكره وأصحابه فى هذا الموضع مما لم تعرف صحته ولا منفعته »(٣١) .

وكان من أهم ما أعجب به ابن تيمية فى ابن ملكا ، اعتماده فكره وتمثيله لعقله ، وتقليب الأمور والتفكير فيها دون ان يقلد من سبقه من الفلاسفة ، فرد عليهم الكثير من المسائل ، وأثبت ذلك بالدليل العقلى . يقول ابن تيمية : « وأبو البركات وأمثاله قد ردوا على أرسطو ما شاء الله ، لأنهم يقولون : انما قصدنا الحق ، ليس قصدنا التعصب لقائل معين ، ولا لقول معين »(٣٢) .

ويعلل شيخ الاسلام هذا التوجه السليم لابن ملكا فى رده أقوال القدماء وتابعيهم قائلا : « ولكن ابن سيناء نشأ بين المتكلمين والنفاه للصفات ، وابن رشد نشأ بين الكلابية ، وأبو البركات نشأ ببغداد بين

---

(٢٧) أشهر من أن يعرف عاش بالشام ومصر ، كثير البحث فى فنون الحكمة ، من علماء الاصلاح المشاهير ، له العشرات من المصنفات أشهرها فى التفسير والأصول توفى ٧٢٨هـ/١٣٢٨م . الكتبى : فوات الوفيات ، حـ١ ، صص ٧٤ ـ ٨٠ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ٩ ، ص ٢٧١ .

(٢٨) درء تعارض العقل والنقل ، حـ٢ ، ص ٥٤٧ .

(٢٩) منهاج السنه النبوية ، حـ١ ، ص٢٦٨ ، كتاب الرد على المنطقيين ، ص٢٣٢.

(٣٠) منهاج السنه النبوية ، حـ١ ، ص ٣٤٨ .

(٣١) درء تعارض العقل والنقل ، حـ٣ ، ص ٣٢٤ .

(٣٢) كتاب الرد على المنطقيين ، ص ٢٠٧ .

علماء السنة والحديث ، فكان كل من هؤلاء بعده عن الحق بحسب بعده عن معرفة آثار الرسل ، وقربه من الحق بحسب قربه من ذلك »(٣٣) .

وفى ميدان العلوم الطبيعية(٣٤) كان لهبة الله بن ملكا آراء رائعة وصائبة ، رد فيها على أقوال القدماء كأرسطو وأمثاله من علماء اليونان ، وعلى ابن سينـاء وغيره من علمـاء الطبيعة فى الاسـلام ، وناقش العديد(٣٥) من مسائل الطبيعة كالحـركة والسكون وصور الأجسـام الطبيعية وبسائطها ، والسماء ، والقمر والكواكب والمجرات والافلاك ومحركاتها وغاياتها ، والحر والبرد ، والجبال والبحار والأودية والانهار والعيون والآبار ، والزلازل والمعادن ، وعلاقة الكيمياء بالعلم الطبيعى ، والحيوان والنبات وخواص كل منهما وصفاته وطبائعه .

ومما كان يعتبره القدماء فى باب الآثار العلوية ، وهو جزء من العلم الطبيعى الذى يرتبط بالأرض ، ناقش ابن ملكا موضـوعات الرياح ، كالسحاب والمطر والثلج والبرد ، والرعد والبرق والصواعق وقوس قزح.

كل ذلك من الأمور التى كانت موضع دراسة ونقاش منذ العصـور القديمة حتى العصور الاسلامية . على أن الشىء المهم والجديد فى دراسة ابن ملكا أنه كما ذكرنا لم يقف عند حدود علوم القدماء مثل أرسطو ، فعلى الرغم من تقديره لهذا العالم الا أن كتابه المعتبر باجمعه كأنما وضع على شكل ردود علمية منطقية مدعمة بالبرهان على ما تركه أرسطو فى كتبه المنطقية والطبيعية وما وراء الطبيعة ، اذ لم يتبعه ابن ملكا ولم يسر على ما سار عليه بقوة من علماء الطبيعة المسلمين الذين كانوا ينظرون الى دراسات أرسطو فى هذا الباب كمسلمات لاتقبل الجدل أو التغيير .

---

(٣٣) منهاج السنه النبوية ، حـ١ ، ص ٣٥٤ .

(٣٤) يبقول ابن ملكا العلوم الطبيعية هى : العلوم الناظرة فيما تقع عليـه الحواس من الطبيعيات كالأجسام وأحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وأفعالها وما يفعل ذلك فيها من قوى ، والأمور غير المحسوسة فان هذا العلم يتعرض لأظهرها فاظهرها أولا ويترقى منه الى الأخفى ، والاظهر عندنا من ذلك هو الأعرف والاقدم . المعتبر ، حـ٢ ، ص ٦ .

(٣٥) انظر الجزء الثانى من كتابه المعتبر .

حقاً ان بعض آراء أرسطو لاسيما فيما يخص العلم الطبيعى المبنى على التجربة صادف نقداً وتعديلا لدى بعض العلماء المسلمين قبل ابن ملكا ، مثل شكوك جابر بن حيان الكوفى فى كتابه « البحث » . ولكن ابن ملكا درس تلك العلوم عند القدماء دراسة وافية كاملة وفاحصة ، ثم أعمل فكره فيها بترو ، وقاس كل ذلك على الحكم العقلى بعد أن تحرر فكره من مؤثرات القدماء . لذلك جاءت دراساته فى العلم الطبيعى أكثر نضوجا ، وأعمق تحليلا ، وأقرب الى الواقع . يقول فى كتابه : « فكنت اجتهد بالفكر والنظر فى تحصيل المعانى وفهمها والعلوم وتحقيقها ، فيوافق فى شىء لبعض ، ويخالف فى شىء آخر لبعض من أقوال القدماء فى أقاويلهم،وتحصل باشباع النظر فى صحيفة الوجود من ذلك»(٣٦).

ان ما ذكره ابن ملكا هنا ماهو الا دليـــل على نجاح منهجه الذى أعتمده فى دراساته ، والذى أدى الى ما قام به من أعمال علمية بعد ذلك عن طريقين :

الأول : التعلم بالقصـــد والارادة ، « وهو الذى يكون بالأخبـار والاستخبار والتأمل والاعتبار واعمـــال الأذهان والأفكار ، فيتعلم من المعلمين ويتبصر من المبصرين»(٣٧) ، وكان هذا الطريق هو الذى بدأ به ابن ملكا حياته العلمية مع شيخه سعيد بن هبة الله .

والثانى : التعلم بالطبع والاتفاق : والمعلم فى هذه الحالة هو العقل والتفكير ، وهى المرحلة الثانية لابن ملكا، بعدما أخذ حقه من علم المشايخ وحصل من المعرفة ما يمكن أن يبدأ به طريق المعرفة والتعـلم الذاتى . وهذا هو العامل الأساسى الذى استطاع ابن ملكا عن طريقه تاليف كتابه المعتبر ، فيقول ان هذا النوع من التلامذة « يعلمهم الزمان بتردد الأذهان والعقول والأفكار فى موجودات الاعيان ومتصورات الأذهان وتكرار نظرهم وتكررها فيها عليهم »(٣٨) .

---

(٣٦) المعتبر ، حـ١ ، ص ٣ .
(٣٧) نفسه ، حـ٢ ، ص ٣ .
(٣٨) ابن ملكا : المعتبر ، حـ٢ ، ص ٢ .

أما تفننه فى العلوم الطبية علما وعملا ، فالمصادر تثنى عليه كثيراً فى هذا الباب ، فما كاد اسمه يشتهر حتى طلبه للتطبب والمعالجة خلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقه ، وقصده التلامذه لتعلم الطب على يديه(٣٩) ٠ وهكذا عمل فى خدمة الخليفة المسترشد بالله (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)(٤٠) ، وكذلك خدم الخليفة المستنجد (ت ٥٦٦د/ ١١٧٠م)(٤١) ، وخدم من سلاطين السلاجقة السلطان محمد بن ملكشاه(٤٢) ٠ أما السلطان محمود بن محمد(٤٣) فقد صحبه كثيراً وقام على تطبيبه وتطبيب أهل بيته(٤٤) ٠

وتذكر المصادر أنه كانت له معالجات لطيفة « فكان موفق المعالجة لطيف الاشارة »٠ ومن أجمل معالجاته التى أوردها لنا ابن أبى اصيبعة والتى استخدم فيها علمه كحكيم وعالم نفسى(٤٥) مع خبرته الطبية ، أنه عالج أحد المرضى ببغداد ، ظل زمانا يتوهم أن على رأسه دنا لا يفارقه أبدا ، وما استطاع الاطباء فهم مرضه ولا أفادوه ، حتى عرض على ابن ملكا الذى عالجه من نفس الطريق الذى كان يعانى منه المريض، اذ أمر غلاما بادارة خشبة من فوق رأسه ، وآخر رمى جرة أمام المريض الذى صاح لكسرهم اياها ، فأثر فيه الوهم وبرىء من علته٠وقال ابن أبى اصيبعة عن ذلك : « وهذا باب عظيم فى المداوة»(٤٦) ٠

---

(٣٩) القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢٢٥ ٠

(٤٠) صدر الدين الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢٠٩ ٠

(٤١) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٧٤ ٠

(٤٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ٠

(٤٣) محمود بن محمد بن ملكشاه ، كانت أيامه فقيرة ، وزاد الأمر فقرا وسوءا فتنته مع الخليفة المسترشد ، الا أنه كان قوى المعرفة بالعربية حافظا للاشعار ، عارفا بالسير والتواريخ توفى سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م ٠ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ١٩٥ ٠

(٤٤) القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ٠

(٤٥) كان متفننا فى هذا الباب الى حد بعيد ، جعله من أجزاء العلم الطبيعى ، وألف فيه مقالة رائعة تدل على فهم ووعى وادراك بمسائل النفس ومدى تأثيرها على الانسان فى صحته ومرضه ، ولا أعتقد أن أحدا تناول هذا الموضوع بمثل هذا الفهم والدقة والجدية ، مما جاء به ابن ملكا (المعتبر ، ج٢ ، ص ٢٩٨ ، ٤٤٤) ٠

(٤٦) عيون الانباء ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ٠

وهناك اشارات لطيفة ومعالجات جميلة ذكرتها المصادر ولا مكان لها هنا ، وهى تدل بشكل أو آخر على أن ابن ملكا كان من حذاق الأطباء فى زمنه ، حتى أن الاطباء أنفسهم كانوا يأتون اليه فى بيته وفى مجلسه العلمى فيسألونه عن بعض الأمراض ، وكيف يتعاملون معها ، فيجيب عنها بخطه ، وينقلون ذلك عنه فى أوراق ، حتى أجتمع من تلك الأسئلة والأجوبة كتابا ظلوا يقرؤونه ويتناقلونه فيما بينهم(٤٧) ٠

مؤلفـــــاته :

يقول ابن أبى اصيبعة ان تصانيفه ودراساته كانت فى نهاية الجودة والاتقان(٤٨) ، وتنقسم كتبه الى قسمين(٤٩) :

الأول : يشتمل على مصنفاته فى الحكمة وعلوم الطبيعة وهى : ـ

ـــ المعتبر فى الحكمة ، وهو من أهم كتبه وأجلهـــا ، بل أنه أهم ما كتب فى الحكمة فى زمانه ٠

ـــ مقاله فى سبب ظهور الكواكب ليلا واختفائها نهارا ٠

ـــ رسالة فى العقل وماهيته ٠

ـــ كتاب النفس(٥٠) ٠

الثانى : كتبه الطبية ، وليس له فى هذا الباب من المصنفات التى تصل الى درجة كتبه الحكمية ٠ ويبدو أنه اشتهر بالطب العملى والممارسة العملية دون التأليفية ٠ ومن كتبه الطبية :

---

(٤٧) القفطى ، اخبار العلماء ، ص ٢٢٦ ٠

(٤٨) عيون الانباء ، ص ٣٧٤ ٠

(٤٩) نفسه ، ص ٣٧٦ ؛ البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٥٢ ٠

(٥٠) ذكره البيهقى ولا نعلم هل المقصود به مقالته فى النفس الموجودة بالجزء الثانى من كتابه المعتبر ، أم أنه كتاب آخر ، والارجح أن الكتاب هو نفس المقالة اذ ربما دونها النساخ لأهميتها فى كتاب منفصل عن المعتبز ليسهل تداولها ، وليستفيد منها التلامذة ٠

— اختصاره للتشريح ٠

— كتاب الاقرباذين(٥١) ٠

— مقالة فى الدواء الذى ألفه المسمى برشعثا ؛ استقصى فيه صفته وشرح أدويته ٠

— مقاله فى معجون ألفه وسماه أمين الأرواح ٠

على أن الذى يهمنا من كتبه هذه مما له علاقة بهذه الدراسة ، هو كتابه « المعتبر فى الحكمة » وهو من أجل الكتب التى ظهرت فى عصره فضلا عن العصور الاسلامية اللاحقة الى أيام ابن تيمية ، الذى أكمل ما بدأه ابن ملكا فى تحقيق ودراسة ماله علاقة بموضوع الالهيات ٠ ذلك أن ابن تيمية تناول هذا الموضوع بكل اقتدار ورد فيه على أقوال الفلاسفة القدماء والمحدثين بمنطق العقل والنقل ٠

ولا نريد أن نتعرض لدراسات وابحاث أبى عبد الله محمد بن عمر ابن الحسين القرشى التيمى المعروف بفخر الدين الرازى(٥٢) والذى عاش فى الفترة الواقعة بين ابن ملكا وابن تيمية ٠ ذلك أنه يلاحظ أن ابن تيمية اختلف معه فى كثير من القضايا ، ورد عليه فى مسائل كثيرة مما أورده فى كتابه « المباحث المشرفية » اذ أن توجهه فى كتابه هو توجه الفلاسفة المشائيين(٥٣) على الرغم من مخالفته لهم فى كثير من قضايا

---

(٥١) الأقرباذين ٠ وهى الكتب التى تبحث فى علم الأدوية المفردة والمركبة ٠ ابن سينا : القانون ، جـ٣ ، ص ٣٠٩ ٠

(٥٢) كان من الأئمة فى أصول الشافعية والعقائد الأشعرية ، متفننا سائر العلوم الشرعية والحكمية ، قوى النظر فى صناعة الطب ومباحثها عارفا بالأدب كان يسمى فى هراه بشيخ الاسلام ، ولقبه ابن أبى اصيبعة بسيد الحكماء المحدثين ، له عشرات المصنفات ، أشهرها فى الحكمة كتابه « المباحث المشرقية » ٠ ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٤٦٢ ٠

(٥٣) المشاؤون : فى اليونانية معناها ما ينجز أو الانجاز أثناء السير ، وهم اتباع فلسفة أرسطو ، وقد وجدت هذه المدرسة المشائية لما يقرب من ألف عام حتى عام ٥٢٩م ، وكانت مركزا عظيماللعلم القديم : روزنتال: الموسوعة الفلسفية ،ص٤٧٨٠

الالهيات ، وعليه فان اللقاء الفكرى فى هذه القضايا بين ابن تيمية وبين ابن ملكا أكثر اتفاقا وأشمل منه فيما بين ابن تيمية والفخر الرازى٠ذلك أن ابن ملكا على الرغم من تقديره لأرسطو الا أنه لم يكن يقول بقوله ولا يأخذ برأيه ولا برأى أحد من المشائيين ، انما كان يقول بفكره ويبنى عقله فى دراسة المسائل المعلقة فى الالهيات بين الاسلام والفلسفة ٠

يقول القفطى عن ابن ملكا وكتابه المعتبر : « وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين فى هذا الشأن واعتبرها واختبرها ، فلما صفت لديه وانتهى أمرها اليه صنف فيها كتابا سماه المعتبر ، أخلاه من النوع الرياضى ، وأتى فيه بالمنطق والطبيعى والالهى ، فجاءت عبارته فصيحة ، ومقاصده فى ذلكالطريق صحيحة ، وهو أحسن كتاب صنف فى هذا الشأن فى هذا الزمان »(٥٤) ٠

ويقول ابن ملكا فى الدافع الذى دعاه الى تأليف كتابه هذا(٥٥) ، انه كان من عادة القدماء قبل أرسطو فى العلوم أنهم يتناقلونها بالرواية والمشافهة ، وكانوا لأجل الحفاظ على قيمة العلم لا يعطونه الا ذوى الفطنة من المتعلمين ، فكان علمهم لا يصل الا الى أهله ممن كانوا يتوسمون فيه الاستعداد والقدرة على حمله وأدائه لمن بعده ٠

ثم أنه فى فترات لاحقة قل عدد العلماء وقصرت الهمم وتداعت العلوم لقلة المتعلمين ، فأخذ العلماء فى تدوين الكتب الحافظة لهذه العلوم ، واستخدموا فيها الغامض من العبارات والخفى من الاشارات حتى لا يفهمها الا أهل الفطنة ٠ واضطر مع ذلك من جاء بعدهم من العلماء والمتعلمين الى اختصار وشرح هذه الكتب لتسهل على المتعلمين، فخلطوا أفكارهم ونزعاتهم المختلفة بتلك الكتب « حتى كثرت الكتب والتصانيف وخالط أهلها فيها كثير من غير أهلها ، واختلط فيها كلام الفضلاء المجودين بكلام الجهال المقصرين»(٥٦) ٠

---

(٥٤) اخبار العلماء ، ص ٢٢٤ ٠

(٥٥) المعتبر ، جـ١ ، ص ٢ ـ ٣ ٠

(٥٦) المعتبر ، جـ١ ، ص ٣ ٠

ويقول أنه نظر فيما تركه الفلاسفة القـــدماء واللاحقين فيما يتعلق بالعلوم الحكمية ، وصرف فى ذلك وقتا وجهـــدا عظيما بسبب استغلاق كتب القدماء ، وصعوبة فهمها ، واختصارها ، واختلال عبارتها ، بسبب نقلها بين اللغات • أما كتب اللاحقين منهم فانه كان يعـــوزها وضوح الشروحات ، والدليل والحجة ، فكان يشـــوبها الغموض والاعراض : « فيتعذر الفهم لأجل العبارة والشرح،والعلم لأجل الدليل والبيئة ، فكنت أجتهد بالفكر والنظر فى تحصيل المعانى وفهمها والعلوم وتحقيقها»(٥٧).

ويؤكد ابن ملكا أن أغلب دراساته وأبحاثه فى كتابه هذا انما هى من تحرير فكره ، التى وافق فى بعضها ما توصل اليه القدماء ، والبعض الاخر كان مخالفا لآرائهم • وقد توصل الى ذلك عن طريق التفكير والتامل فى صحيفة الوجود(٥٨) ، وكان يســـجل ملاحظاته وأفكاره فى أوراق مبعثرة « فلما كثرت تلك الأوراق وتحصل فيها من العلوم ما لا يســـهل تضييعه ، مع تكرار الالتماس ممن تتعين اجابتهم ، الى تصنيف هـــذا الكتاب فى العلوم الحكمية الوجودية الطبيعية والالهية • وسميته بالكتاب المعتبر لأننى ضمنته ما عرفته واعتبرته وحققت النظر فيه وتممته ؛ لا ما نقلته عن غير فهم أو فهمته وقبلته من غير نظر واعتبار • ولم أوافق على ما أعتمدت عليه فيه من الآراء والمذاهب كبيرا لكبره ولا خالفت صغيرا لصغره ، بل كان الحق من ذلك هو الغـــرض ، والموافقـــة والمخالفة فيه بالعرض »(٥٩) •

وعلى الرغم من أنه انتهج فى تأليف كتابه هذا منهج أرسطو فى الترتيب والتنظيم ، الا أن دراسته لكل مسألة كانت تتم باستعراض آراء المعتبرين من أهل الحكمة • ثم يدلى هو بوجهة نظره فى كل مسألة يخالف فيها القـــدماء مع تدعيمها بالبيانات والحجج والبراهين • ويؤكد انه وضع جميع تلك المسائل وحكمها بالعقل « ثم تعقبتها بالاعتبار وأعتمدت من

---

(٥٧) نفسه ، حا ، ص ٣ •
(٥٨) نفسه ، حا ، ص ٢ •
(٥٩) نفسه ، حا ، ص ٤ •

جملتها على ما رجحت به فى المعقول لغة الميزان واقتصر وثبت بالدليل والبرهان ، ورفضت ما عداه كائنا ما كان وممن كان»(٦٠) .

ويشتمل كتابه هذا على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويشتمل على العلوم المنطقية ، ويقع تحته ثمان مقالات ، كل مقالة تحتوى على عدة فصول ، ماعدا المقالات الثلاث الأخيرة ففى السادسة فصل ، والسابعة فصلان ، والثامنة فصل واحد .

وتحدث فى مقالاته هذه عن المعرفة ، والعلوم، والقياس ، والبرهان والجدل .

القسم الثانى : وقد افرده للحديث عن العلوم الطبيعية وجعله فى ستة أجزاء ، تحدث فيها عن علم الحركة ، وصور الأجسام الطبيعية وخواصها وقواها ، والتغير والاستحالة والكون والفساد ، والاثار العلوية ، والنبات والحيوان ، وعلم النفس .

القسم الثالث : وكان حديثه فيه عن الالهيات ، وما وراء الطبيعة ، وجعل هذا القسم فى مقالتين .

وبوجه عام فان لدراسات ابن ملكا فى كتابه هذا من الأهمية والقوة والنضوج ما يمكن القول معه بأنه أفضل الكتب التى عرفت فى تاريخ الاسلام فى بابه . ولقد شهد له بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأكثر من النقولات عنه . واستشهد بآرائه فى الرد على أفكار القدماء والمحدثين من الفلاسفة فيما يتعلق بالالهيات . وأشار فى كتبه الى ردود ابن ملكا عليهم ووافقه فى ذلك،على الرغم من أن هناك مسائل خالفه فيها، ونافش مواضع الخلاف فى ذلك .

والمجال لا يسمح بايراد ذلك كله ولكن نذكر على سبيل المثال ، علاوة على ما سبق ذكره :

---

(٦٠) ابن ملكا : المعتبر ، جـ١ ، ص ٤ .

* مناقشته لمسألة قـــدم العـالم ومخالفته لابن ملـكا فى جميع تلك المسائل(٦١) ٠

* ثناءه على ابن ملكا لقوله باثبات الصفات ، اذ يقول « واما أساطين الفلاسفة فهم مثبتون للصفات ، كما قد نقلنا أقوالهم فى غير هذا الموضع ، وكذلك كثـير من أئمتهم المتأخـــرين كأبى الســـركات وأمثاله»(٦٢) ٠

* وفى موضع آخر يثنى عليه فى رده على قدماء الفلاسفة وتابعيهم ممن هم على طريق المشائين ولم يقلدهم فيما ذهبوا اليه فقال : « وأما أبو البركات ونحوه ٠٠٠ فأثبت علم الرب بالجزئيات ورد على سلفه جيدا ، وكذلك أثبت صفات الرب وأفعاله وبين ما بينه من خطأ سلفه ، ورأى فساد قولهم فى أسباب الحوادث ، فعدل عن ذلك الى أن اثبت للرب ما يقوم به الارادات الموجبة للحوادث(٦٣) ٠

* ذكر اختلاف الفلاسفة فى مسألة نفى المعانى عن الرب سبحانه ، وعدم مسايرة ابن ملكا لآرائهم فى ذلك ، ولذلك سماه بالحاذق اذ يقول : « ولهذا كان الحاذق من هؤلاء كأبى الحسن البصرى ،وأبى البركات صاحب المعتبر وغيرهما ، قد خالفوهم فى ذلك ، وبينوا أنه ليس لهم دليل عقلى بنفى ذلك ، وأن الأدلة العقلية والشرعية توجب ثبوت ذلك»(٦٤) ٠

* مخالفة ابن ملكا لأرسطو واتباعه فى مسألة اثبات قيـــام الافعال الاختيارية للـــه تعالى ، فقال ان ابن ملكا يثبت ذلك(٦٥) ٠

---

(٦١) ابن تيمية : منهاج السنه النبوية ، حـ١ ، ص ١٧٨ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ٢١٩ـ ٢٢٨ ، درء تعارض العقل والنقل ، حـ٢ صص ١٦٤ ـ ١٧٣ ٠

(٦٢) ابن تيمية : منهاج السنه النبوية ، حـ١ ، ص ٢٦٨ ، الرد على المنطقيين ، ص ٢٣٢ ـ ٣١٤ ـ ٣٧٠ ٠

(٦٣)ابن تيمية : منهاج السنه النبوية ، حـ١ ، ص ٣٤٨ ٠

(٦٤) نفسه ، حـ٢ ، ص ٥٤٧ ٠

(٦٥) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، حـ ٢ ، ص ٢٠ ٠

* اما فى مسألة علم الله تعالى وما ذكره الفلاسفة فى ذلك مثل أرسطو وابن رشد وابن سيناء ، فقد اعتمد ابن تيمية دراســـة ابن ملكا لآرائهم وردوده عليهم فى هذه المسألة وتفريعاتها المختلفة ، وأيده فى أغلب ما ذهب اليه(٦٦) ٠

★ ★ ★

القسم الثانى

نظرة ابن ملكا الى المعارف والعلوم

أفرد ابن ملكا الجزء الأول من كتابه (المعتبر فى الحكمة) للحديث عن العلوم المنطقية ، وجعله فى خمس مقـــالات بين فيها وجهة نظره ومنهجه فى البحث العلمى ٠ وأعتمد فى ذلك على قناعته الشخصية فى فلسفة المعارف والعلوم ، والعلم والتعليم ، مستشهدا بآراء بعض الفلاسفة القدماء ، وبخاصة أرسطوطاليس الذى يميل كثيرا الى آرائه فيما يخص هذا الجزء(٦٧) ٠

واتسمت مباحثه فى كتابه عامة ـ وفى هذا الجزء بشكل واضح ـ بالنضج واتساع المعرفة ، والقدرة على التحليل والربط الواضح الموثق بين جميع مقالاته ودراساته ، اذ كتب فى المعرفة الانسانية ، والعلوم من باب

---

(٦٦) درء تعارض العقل والنقل ، حـ٩ ، صص ٣٩٧ ـ ٤٣٤ ، حـ١٠ ، صص ٣ ـ ١١ ، صص ١٠١ ـ ١٠٤ ٠

(٦٧) أرسطوطاليس : ابن بيقوماخس ، من أولاد اسقلبيادوس أبو الطب عنـــد اليونانيين ، من أعمدة الحكمة السبعة ، كان متقننا فى العلوم الطبية ، وعلوم الحكمة فى الاخلاق والسياسة والطبيعة ٠ تتلمذ على أفلاطون عشرين سنة ، حتى أخلفه مكانه فى دار التعليم ، وبعد وفاته خرج أرسطو الى لوقيون واتخذ بها دارا لتعليم الحكمة المنسوبة الى المشائين ، وقد صنف ما يزيد على مئة كتاب ٠ ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٠٧ ، المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاســن الــكلم ، ص ١٧٨ ، القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢١ ، ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ٨٦ ٠

واسع كان فيه أكثر دقة ووضوحا وادراكا لما يكتبه من آخرين تناولوا نفس هذه المواضيع بالدراسة .

وفى هذه الدراسة الموجـــزة لم نأت على مباحث ابن ملكا جميعها لندرسها دراسة كاملة مستوفاة من كافة جوانبها، وبكل دقائقها وتفاصيلها، وانما اقتصرنا على ما له علاقة بآرائه فى تطور المعرفة الانسانية ، وتاريخ العلوم ، والكيفية التى يمكن بواسطتها الحصول على المعارف والعلوم . وبعبارة أخرى فان حديثنا يقتصر على علاج القضايا التالية :

أولا : مذهبه فى المعرفة .
ثانيا : مذهبه فى العلوم وتحصيلها .
ثالثا : نظرته الى العلوم وتصنيفها .

أولا : مذهبه فى المعـرفة :

فى تعرضه لهذه الناحية عامة نجد ابن ملكا لا يتوقف عنـــد آراء القدماء ، بل يذكر فحوى دراساتهم وآرائهم ، ثم يعقب على كل قضـية ناقشوها برأيه الخاص فيما يوافقهم فيه ، أو ما يخالفهم ، مدعما رأيه بالأدلة والحجج والبراهين فيما يرمى اليـــه لايضاح وجهات نظره التى يطرحها فى كل مسألة(٦٨) .

ذلك أنه يبدأ حديثه عن المعارف والعلوم وكيف تكونت بشكل عام ، وماهى علاقتها بالمنطق ، ويوضح فى ذلك آراء قدامى المفكرين الذين نقلوا فكرهم الى تلامذتهم وفق تتابع الأجيال، سماعا ومشافهة لا تدوينا. ثم يعرض موقف أولئك التـــلامذة من الاراء والافكار التى استقوها من أساتذتهم . ذلك أن عدم الفهم واللبس وســوء الظن كانت فى رأيه هى السمة العامة لكافة المتعلمين بسبب عدم اتفاق القدامى واختلاف آرائهم وتباين مشاربهم ومذاهبهم فى النظـــر الى المنطق وعلاقته بالمعـــارف والعلوم(٦٩) .

---

(٦٨) ابن ملكا : المعتبر ، ص ٧ .
(٦٩) نفسه ، جـ١ ، ص ٥ .

وكان أن أخذ أصحاب الهمم من الباحثين اللاحقين يتشككون فى آراء السابقين ، فقالوا مادام الاختلاف قد سرى بين كبار أساتذتهم فان القضية لن تقف عند حد معين يمكن الوصول معه الى حقيقة ثابتة غير قابلة للتغيير مع مرور الزمن • لذلك بدأوا بأنفسهم فى دراسة هذه القضية والبحث فيها « فدعا هذا الفكر وأمثاله من أهل النظر من العلماء والمتعلمين الى طلب ما لأجله يصل الى علم الحق ومعرفته ، من الطالبين من يصل ، ويضل عنه من يضل ، ويقصر من يقصر ، ويصيب فيه من يصيب ، ويخطىء فيه من يخطىء ، فقالوا فى ذلك أقوالا متفرقة(٧٠)•

فعندما ظهر أرسطو كانت الأقوال فى المعارف والعلوم قد هذبتها الأنظار ، وأتمتها الافكار فألف فى ذلك كله كتابا أسماه علم المنطق(٧١) تناول فيه فنون الأنحاء التعليمية الفكرية النظرية وبين فيه الأسباب الكامنة وراء أختلاف المفكرين فى مذاهبهم وعلومهم حتى وصل منهم الى الصواب من وصل وأخطأ من أخطأ(٧٢) •

---

(٧٠) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٥ ، ويلاحظ أنه منذ بداية القرن التاسع عشر ظهرت مئات من الدراسات التى تناولت موضوع تطور العلم والمعرفة فى التاريخ. وعقدت حول ذلك المؤتمرات وتضافرت جهود مؤرخى العلم وعلماء الطبيعة لصياغة اتجاه جديد لمنطق التطور العلمى ، تناولت حركة العلم ، وتحليل تطور بنيته ، ومناهج تحصيل المعارف ، وتعددت بذلك وتعقدت الدراسات بتعقد وتطور المعرفة ، وظهر اتجاه جديد لدراسة مظاهر اطراد التقدم العلمى : وعرف هذا الاتجاه باسم (علم العلم) Scienology or Science of Science

حتى ان دراسة توماس كون Thomas Khun والتى تعد أهم الدراسات الحديثة فى هذا الميدان تعرضت للنقد من قبل المفكرين لأنه اعتبر دراسات القدماء فى هذا الباب على قدم المساواة مع دراسات علماء العصور الوسطى وبداية الحديثة • وهذا يعنى ان هناك احتمالا لعودة نظرية قديمة لتحل محل أخرى جديدة • كون : ابنية الثورات العلمية ، ص ٩ ـ ١٠ ، ص ١٦ ، كما وانظر ، ص ٣٠ ـ ٣١ •

(٧١) وهى مجموعة مقالات فى المنطق ، ذكرها ابن النديم بقوله « ترتيب كتبه فى المنطقيات وهى تسعة كتب ، نقلت جميعها الى اللغة العربية وكان لحنين فى ذلك النصيب الأوفر ، كما شرحت ، واختصرت من قبل الكثير من المفكرين فى الدولة الاسلامية » • الفهرست ، صص ٣٠٨ ـ ٣١٠ ، كذلك انظر ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء ، ص ١٠٤ •

(٧٢) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٥ •

ثم تعرض ابن ملكا بعد ذلك لموقف العلمـــاء الذين خدموا مختلف علوم الحكمة ، وذكر اختلافهم فى علاقة علم انطق بمسألة تحقيق المعارف والعلوم ، وجعلهم على قسمين :

القسم الأول يقول : أن موضوع المنطق هو : « ما به يتوصل الى معرفة المجهولات والعلم بها ، وهو المعانى السابقة الى أذهان الناس قبل نظرهم فيما يرومون تحصيله من المعـارف والعـــلوم الاكتسابية ، فانه يستعملها فى ذلك بتصرفه فيها تصرفا يكسبها صورا تأليفية »(٧٣) .

أما مطالب هذا العلم من وجهة نظرهم فهى « أنه كيف يتوصـل الانسان بالمعرفة والعلم السابقين الى تحصيل المعـــرفة والعلم المكتسبين بالطلب وعلى أى وجه»(٧٤) .

وأما غاية هذا العلم فى نظر هؤلاء المفكرين فهى « افادة ما يتوصل به الانسان الى اكتساب المعارف والعلوم المجهولة ، ومعرفة الحق فيها من الباطل والصدق مما يقال فيها من الكذب»(٧٩) .

هذا عن القسم الأول . وفى القسم الثانى قالوا : ان موضوع المنطق هو الألفاظ من حيث دلالتها على المعانى ، وهذا الرأى خطأه ابن ملكا وقال : ان ذلك هو مما له علاقة بعلم اللغات(٧٦) .

وغرض المنطق ومنفعته علي هـــذا الرأى يدل على أن اسـتخدام الألفاظ هنا بالعرض فقط أى للمفاوضة فى العلوم ، فالتصرف هنا يكون بالذهن فى تعرف المجهولات من المعارف والعـــلوم ، بناء على المعارف والمجهولات السابقة ، من غير حاجة الى الألفاظ(٧٧) .

---

(٧٣) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٦ .
(٧٤) نفسه ، حـ١ ، ص ٦ .
(٧٥) نفسه ، حـ١ ، ص ٦ .
(٧٦) نفسه ، حـ١ ، ص ٦ .
(٧٧) نفسه ، حـ١ ، ص ٦ .

ويحاول ابن ملكا الجمع بين آراء القسمين الأول والثانى ويبدى وجهة نظره فيقول أنه قد تحصل مما قيل أن(٧٨) :

منفعة علم المنطق هى : هداية الأذهان الى حقائق المعارف والعلوم وردها عن الزلل والزيغ فيها ٠

وغرضه هو : معرفة ما به تكون الهداية والرد كيف يكونان ٠

وموضوعه هو : ما به يتوصل الىالهداية والرد المذكورين من المعارف والعلوم السابقة الى الأذهان من حيث يتوصل بها الى ذلك ٠

اما مطلوباته فهى : القوانين التى تستفاد من المعارف والعـــلوم المكتسبة من جهة المعارف والعلوم السابقة الى الأذهان ٠

وقبل ان نتعرف على وجهة نظره فى دراسته للمنطق ، ينبغى أن نوضح أسبقية ابن ملكا على غاليليو(٨٩) وديكارت فى الكشف عن عمل هذا العلم وغرضه ودلالته فى دراسة العلوم، اذ يقول : « وأما العلوم فقد عرفت أنها تنقسم الى ثلاثة أصناف ، علم الموجودات ، وعلم المعلومات، وعلم العلم ٠ فعلم الموجودات قيل فيه فى الطبيعيات ، وعلم المعلومات قيل فيه فى علم النفس ، وعلم العـــلم قيل فيه فى الفن المنطقى»(٨٠) ومن هذا يبدو أنه أطلق على المنطق علم العلم ٠

ويؤكد أحد الباحثين المحدثين أن القرن السابع عشر الميلادى هو البداية الفعلية التى عرف فيها المنطق بعلم العلوم على يد غاليليو الذى اعتمد فى دراسته للميكانيكا على الرياضيات ، لتصبح الموافقة تامة بين العلم الرياضى وظواهر الطبيعة(٨١) « وهكذا قام منطق العلوم على

---

(٧٨) نفسه ، حـ١ ، ص ٧ ٠

(٧٩) غاليليو : عالم طبيعى فلكى وفيلسوف ، له آراء فى الميكانيكا وعلم الحركة، وكان يؤمن بالملاحظة والتجربة فى العلوم ٠ روزنتال : الموسوعة الفلسفية ، ص ٣١٧٠

(٨٠) ابن ملكا : المعتبر ، حـ٣ ، ص ٢١٤ ٠

(٨١) وهذا هو ما فعله ابن ملكا فى دراسته لعلم الحركة ، اذ اتبع المنهـــج الرياضى فى ذلك انظر الجزء الثانى من كتابه المعتبر ٠

المنطق الأرسطى»(٨٢) ٠

ويؤكد هذا الباحث بعـــد ذلك أن ديكارت (ت١٦٥٠م)(٨٣) هو المؤسس الحقيقى لمدرسة رفض منطق أرسطو كمعيار للعلم ، وكذلك من جاء بعده من الفلاسفة(٨٤) ٠

لقد كان ابن ملكا من فلاسفة وحكماء العصور الوسطى ، وكان يرى أن المنطق هو العلم الذى يدرس العلوم ، وهذا هو ما جاء به بنعبد العالى فى حق منطق غاليليو وديكارت اذ يقول : « موضوع هذا المنطق الجديد هو العلم ، انه علم العلوم،أى العلم الذى يتخذ موضوعا له العلوم،ليسجل الطـــرق التى يتبعها العلماء فى ميـــادينهم المختلفـــة فينتقد تلك الطرق»(٨٥) ٠

وكما ذكرنا سابقا فان ابن ملكا فى كتابه هـــذا لا يقف عند حدود أقوال القدماء ومن جاء بعدهم حتى حكماء الدولة الاسلامية ، بل كانت له رؤية وفلسفة خاصة فى كثير مما قالوه ، بحكم التطور الذى حظيت به العلوم فى تاريخ الدولة الاسلامية ٠ وهو يؤكد أن نفوس العلماء تختلف فى الطبائع والغرائز والتوجهات الفـــكرية ، وأن ما يدلى به من رأى حول موضوع المعارف والعلوم وعلاقتها بالمنطق انما يعبر عن وجهة نظره التى يؤمن بها فى ظل التوجه الفكرى والتطور المعرفى الذى وصل الى ما وصل اليه فى زمنه ؛ فيقول :

ان العلوم منها أولية ومنها تعليمية(٨٦) :

---

(٨٢) بنعبد العالى : الأبستيمولوجيا ، ص ٢٩ ٠

(٨٣) ديكارت : فيلسوف فرنسى ، من رواد الفلســـفة فى العصر الحـــديث ، وكان أيضا رياضيا متمكنا واستهدف ديكارت فى تفكيره ثلاثة أمور هى : ايجاد علم يقينى ، تطبيق هذا العلم بشكل عملى ، ايجاد وسيله لحل المشكلة القائمة بين الدين المسيحى والعلم ، له مؤلفات كثيرة ٠ نفسه ، حا ، ص ٤٨٨ ـ ٤٩٩ ٠

(٨٤) بنعبد العالى : الأبيستيمولوجيا ، ص ٢٩ ٠

(٨٥) نفسه ، ص ٣٠ ٠

(٨٦) ابن ملكا : المعتبر ، حا ، ص ٧ ٠

فالأولية هى : الحكمة الغريزية الموجودة بالفطرة فى بعض النفوس.

والتعليمية هى : القوانين الصادرة عن تلك الفطرة ، يتعلمها فاقد الحكمة الغريزية من واجدها .

وجعل واجدى الحكمة على قسمين :

فهناك واجد على فطرته وغريزته .

وواجد فسدت فطرته بما طرأ عليها من آراء وتعاليم أخرى .

وكذلك فاقدو الحكمة جعلهم قسمين قابلللحكمة وغير قابل.فالقابل لها هو من ليست لديه حكمة غـــريزية بالفطرة ، وهـــذا النوع بامكانه الاهتداء اليها بالتعلم .

وأما غير القابل للحـكمة فهو من انعـــدمت لديه الحكمة الغريزية بالفطرة وبالتعلم بالطبع .

اما وجهة نظره فى رأى من قال ان موضوع المنطق هو الألفاظ من حيث دلالتها على المعانى ، وبالتالى فى المعارف والعلوم ، فيقول : ان العلم والتعليم يحتاجان الى الألفاظ ضرورة ، ولكن بالعـــرض من جهة مفاوضة العلم للمتعلم عموما ، وذلك معروف فيما تلقنه الناس وتعلموه من اللغات ، على انه لكل علم ألفاظ اختصت وعرفت به دون غيره من العلوم الأخرى(٨٧) .

وتحدث ابن ملكا بعد ذلك فى معرض حديثه عن الألفاظ ، مما له علاقة بعلم المنطق الى نســـبة تلك الألفاظ الى معانيها ، ومفهوماتها ، واختلاف أوضاعها ودلالتها ، وبين أيضا دلالتها فيما يخص موجودات الأعيان ـ ما يشاهده الانسان ـ ومتصورات الأذهان فى تحقيق المعارف والعلوم(٨٨) .

---

(٨٧) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٧ ـ ٨ .

(٨٨) نفسه ، حـ١ ، ص ص ٨ ـ ١٦ .

وتتبع بعد ذلك ما قاله الحكماء فى الأوصـــاف الذاتية والعرضية وكيفياتها المتنوعة ، ودلالتها فى تحديد المعارف ٠ وهنا ناقش وجهة نظر أحد الحكماء وما ارتآه فى ذلك حيث أتى فى دراسته هذه بالفكرة تلو الأخرى ، ورد عليها بوجهة نظره المدعمة بالبراهين(٨٩) ٠

ويقول أن معرفة الأشياء انما تتحقق بمعرفة صفاتها الذاتية المميزة والمعرفة لها بالتحديد ، دون ان يكون للأوصاف العرضية أهمية كبرى فى تحديد ذلك الشىء المعرف(٩٠) ٠ ويؤكد فى ذلك أن « كل سائل عن شىء فهو يعرفه من جهة بها اهتدى الى طلبه والسؤال عنه ، ويجهله من جهات لأجلها افتقر الى الطلب والسؤال ، فكل سائل انما يوفى جوابه من المجيب اذا أجابه عما جهل لا عما علم ، وتترتب فى ذلك المعارف فى تمامها ونقصانها وعمومها وخصوصها»(٩١) ٠

ثم تحدث المؤلف عن التصـور والفهم والمعرفة والعلم والفرق بينها فقال :

ان الصورة فى الأذهان مما يشاهده الانسان يسمى تصورا ، وأن دلالة الألفاظ يسمى فهما ، وأن الموافقة بعد التمثـــل والادراك يســـمى معـــرفة(٩٢) ٠

ويفرق بين العلم والمعرفة ، فيقول أن ما : « صـــدق فى الأذهان يسمى علما ، ولأن المعرفة بالمفردات والعلم بالمؤلفات وكـــل مؤلف فيه أفراد هو مؤلف منها،ففى كل علم معرفة هى تصور مفرداته ، ولأنه ليس فى كل مفردات تأليف بل قد تلحظ المفـــردات من غير تأليف ، فلذلك لا ينعكس الأمر ولا يكون مع كل معرفة علم ٠ فالمعرفة قبل العلم وأعم منه وقوعا ، اذ يكون مع كل علم معرفة وليس مع كل معرفة علم»(٩٣) ٠

---

(٨٩) نفسه ، جـ١ ، صص ٢٢ ـ ٢٩ ٠
(٩٠) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ٠
(٩١) ابن ملكا : المعتبر ، جـ١ ، ص ٣٣ ٠
(٩٢) نفسه ، جـ١ ، ص ٣٥ ٠
(٩٣) نفسه ، جـ١ ، ص ٣٦ ٠

ويقول فى ذلك أيضا أن المعرفة محصول الأمور الجزئية ومعانيها، والعلم محصول المعانى الكلية ، ويؤكد على أهمية وجهة نظره هذه فى الفرق بين المعرفة والعلم قائلا : «فلنستعمل ذلكونفهمه بحسب ما قررناه، وان كان لغيرنا أن يستعمله ويفهمه على ما يريده»(٩٤) ٠

ثم انتقل بعد ذلك الى تحديد أنواع المعرفة فى كمالها فيقول : ان الانسان قد يتحصل على معـــرفة ناقصـــة ، أو تامة ، أو خاصـة ، أو عـــامة(٩٥) ٠

فالمعرفة الناقصةهى : معرفة الشىء ببعض أوصافه أو معانيه الذاتية.

والمعرفة التامة هى : معرفة الشىء بسائر أوصافه ومعانيه الذاتية .

والمعرفة الخاصة هى : كالمعرفة التامة من جهة أن المعروف بهـــا يعرف بما يتميز به عن غيره ٠

وأما المعرفة العامة فهى انقص المعـارف لأن المعـــرفة تتم بأعم المعـانى ٠

وتحدث ابن ملكا ـ وفى فصول متعددة ـ عن الطرق والكيفيات المتعددة والمختلفة التى يمكن عن طريقها الحصول على المعارف والعلوم، فقال بادىء ذى بدء ان كل ما يستفيده الانسان من المعارف والعلوم بوجه عام اما أن يكون تحصيله من غير طلب وبغير قصـــد ، واما أن يكون تحصيله بقصد ونيل بعد طلب فيستنبطه ويدركه٠ولكن مع ذلك فان « كل مجهول يروم الانسان معرفته ويطلب العلم به ، فلابد أن يكون طلبه له بعد معرفة تقدمت الطلب ، ٠٠٠ فكل ما يطلبه الانسان فهو يعرفه من جهة بها يهتدى الى طلبـــه ، ويجهله من جهـــة لأجلهـــا يحتاج الى طلبه»(٩٦) ٠

ونجده يعارض قدماء الحكماء فى تسميتهم للمستفاد من المعـارف

---

(٩٤) نفسه ، حا ، ص ٣٦ ٠

(٩٥) نفسه ، حا ، ص ٣٧ ٠

(٩٦) ابن ملكا : المعتبر ، حا ، ص ٤٠ ٠

والعلوم بروية وطلب تعليما وتعلما ، وأن ما ينتج عن ذلك يسمى علما. ذلك أنهم ربطوا ذلك بما سموه بالأسباب المؤدية الى السانح والمطلوب من المعارف والعلوم ، فيختلف ابن ملكا معهم ويقول : « لـكن ليس الأسباب كلها علوما ومعارف»(٩٧) .

وتناول هنا بالتفصيل أسباب طلب العلوم والمعارف ، فيؤكد « أن المستفاد من المعارف والعلوم بقصد وطلب يكون طلبه من جملة أسـباب حصوله واستفادته لا محاله ، لأنه يحصـل ويستفاد اذا طلب »(٩٨) ، وبناء على كلامه هذا فهو يجزم أن المعارف والعلوم المتحصله والسابقة للمعارف والعلوم المجهـولة هى أسـباب لطلبها ؛ والطلب من أسباب أصابتها . أما كيف يكون المجهول المطلوب معروفا ومعلوما ، فيعلل ذلك ويجعله تبعا لوجوه المعرفة ، اذ أن منها « كلية وجزئية ذاتية ، وعرضية عامية ناقصة وتامة خاصة جنسية ونوعية»(٩٩) ، فالمطلوب يعرف من وجوه منها ويؤدى طلبها الى معرفة المجهول منها .

وأما عن الطـرق والقوانين التى يمكن بواسطتها الحصـول على المجهولات بالطلب فيقول : أنها كثيرة ومتعددة وذلك بحسب كثرة جهات المطلوب فى المعرفة والجهل ، ومن ضمن هذه الطرق(١٠٠) :

١ ـ ما يكون باحضار المطلوب لمعـرفته بالحس ، أو الصـوت ، أو الرائحة ، أو الطعم .

٢ ـ ومنها مايكون بتمثيله ، كمن يسأل عن لون فيقال هو مثل هذا .

٣ ـ ومنها مايكون بتنبيه النفس وتذكيرها كمن يسأل عن الغضب فيقال له هو ما تشعر به من حالك وقت كذا .

٤ ـ ومنها مايمكن معرفته بالاستدلال والتفكير .

---

(٩٧) نفسه ، حـ ١ ، ص ٤٠

(٩٨) نفسه ، حـ١ ، ص ٤١ .

(٩٩) نفسه ، حـ١ ، ص ٤١ .

(١٠٠) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٤٧ .

٥ ـ ومنها ما يمكن معرفته عن طريق الخبر • وهذا النوع من المعارف والذى يتم عن طريق الألفاظ المقولة لا يؤدى الى معرفة المجهولات الا بالعرض •

٦ ـ ومن المعارف مايمكن الحصول عليه بتصفية الذهن ، وصرفه عن جميع ماذكر من وجود المعرفة ، حتى يتوصل الى معرفة المطلوب بطريق العقل والتفكير •

والمعرفة فى كيفية الحصول عليها تنقسم عند ابن ملكا الى اكتسابية وأوليــة •

فالمعرفة الاكتسـابية هى ما اجتمع فيها الحـــد الحقيقى(١٠١)، والحد الرسمى(١٠٢)• فالحد الحقيقى يفيد معرفة حقيقة ذاتية ، والرسم يفيد معرفة عرضية ، ومحصول الاثنين يسمى بالمعرفة الاكتسابية(١٠٣)•

أما المعرفة الأولية فهى ماعدا ذلك من المعارف كمحصول المشاهدات الحسية والادراكات الذهنية والاطلاعات العقلية(١٠٤) •

ويقول أيضا ان من المعـارف والعـــلوم مالا يكتسب ولا يكتسب به غيره ،كمعرفة البسائط التى هى مفـــــردات الحقائق ، وكذلك ان من العلوم مايمكن الوصول الى حقائقها بالفعل وبدون حجة ، فبذلك لايكون هذا العلم المتحصل أوليا ولا اكتسابيا(١٠٥) •

ولذلك فان المعارف والعلوم عند ابن ملكا تستفاد كلها وتستحصــل

---

(١٠١) الحد الحقيقى : وهو عبار عما يميز الشىء عن غيره بذاتياته • فاذا ذكر مع ذلك جميع ذاتياته العامة والخاصة فهو تام ، والا فيعتبر ناقصا • الآمدى : المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، ص ٧٤ •

(١٠٢) الحد الرسمى : وهو عبارة عما يميز الشىء عن غيره تمييزا غير ذاتى، وتمامه ونقصانه بما به تمام الحد ونقصانه • نفسه ، ص ٧٤ •

(١٠٣) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٤٤ •

(١٠٤) ابن ملكا : المعتبر ، حـ ١ ، ص ٤٤ •

(١٠٥) نفسه ، حـ١ ، ص ٤٥ •

بعد عدم معرفتها ، ولا يدخل ذلك لديه تحت عنوان المعارف والعـــلوم المكتسبة ، فما يكتسب من المعارفوالعلوم انما هو استفادة معرفة بمعرفة، وعلم بعلم متقدم عليه تقدم السبب على المسبب ، وفى هذه الحالة لابد من علم أولى(١٠٦) ، ولا يجب مع ذلك كله ان تهمـــل دلالات الألفاظ ومواقعها فى معرفة وجوه اكتساب المعارف ٠

ولا أرى أن هناك بونا شاسعا فيما دكره ابن ملكا هنا فى تفريقه بين المعارف الأولية والمعارف العلمية ، اذ نلاحظ أنه بنى المعرفة العلمية على معرفة مكتسبة مبنية على معارف أولية ، وهذا هو نفس ما نادى به باشلار(١٠٧) فيما سماه بالأبستيمولوجيا « نظرية المعرفة العلمية » التى تختلف عن نظرية المعـــرفة العلمية » التى تختلف عن نظرية المعـــرفة التقليدية بأنها تبحث فى المعـــرفة العلمية ، وأنها تدرس كل عـلم من العلوم على حدة(١٠٨) ٠ وهذا ما قاله ابن ملكا : فالمعرفة اليقيية عنده هى تلك المعرفة التى توصلاليها بمعرفة مكتسبة مبنية على معرفة أولية٠ أما فيما يخص تفصيل دراسة المعرفة للعلوم كلا على حدة ، فنجد ابن ملكا يقول فى حديثه عن الألفاظ المستخدمة فى المعارف والعلوم : « ولكل تعليم وتعلم ضرورة الى ألفاظ ، وهى موجودة فيما تلقنه الناس ونشئوا على تعلمه من اللغات وعلى طريق الخصوص فى علم علم من جهة ألفاظ يختص وضعها وعرفها بذلك العلم»(١٠٩) ٠

ثم تحدث بعد ذلك عن الأوقايل المعرفة ودورها فى تحديد المعارف المكتسبة من حيث أنها تجـــرى على الألفاظ ، تتداول فى المفاوضات والمحاورات ، فى التعـلم والتعليم ٠ وجعـــل هنـــاك ثلاثة أنواع من

---

(١٠٦) نفسه ، حا ، ص ٤٦ ٠

(١٠٧) باشلار : فرنسى اشتهر بدراساته فى فلسفة العلم ولد سنة ١٨٨٤م ، عين أستاذا لتاريخ العلوم وفلسفتها فى السوربون وله فى ذلك العديد من المؤلفات ٠ بدوى: موسوعة الفلسفة ، حا ، ص ٢٩٢ ٠

(١٠٨) بنعبد العالى : درس الأبيستيمولوجيا ، ص ٨ ـ ٢٩ ٠

(١٠٩) ابن ملكا : المعتبر ، حا ، ص ٧ ـ ٨ ٠

الألفاظ(١١٠) :

الأول منها : مايقال لتعرف بها المعانى التى هى أسماء موضوعة لها ، وهى لا تفيد فى معرفة المجهول . وهذا التعريف عام لسائر الألفاظ من حيث هى ألفاظ .

والثانى : ألفاظ تقال لتعرف بها ألفاظ أخرى موضوعه للمعانى التى هى أيضا أسماء موضوعة لها . وهذا التعريف يعرض للألفاظ المختصة بتعليم الاصطلاحات اللغوية ، وتفسير بعضها لبعض .

والثالث من الألفاظ : مايقال لتعرف بالمعانى التى هى أسماء موضوعة لها معانى أخرى غير التى هى موضوعة لها . وهذا النوع هو التعريف الاكتسابى المخصوص تعلمه بهذا العلم ، وهذا منه :

التعريف بالحد : وهو قول معرف بجملته لشىء واحد هو المحدود لدلالته بمفردات ألفاظه على آحاد معانيه الذاتية التى هى أجزاء مقومة لحقيقته(١١١) .

التعريف بالرسم : وهو قول بجملته لشىء واحد هو المرسوم ، لدلالته بمفردات ألفاظه على أوصاف يتميز بها عن جميع ما عداه تميزا عرضيا(١١٢) .

تعريف التمثيل : وذلك يكون بتعريف الشىء بنظائره واشباهه(١١٣) .

يقول ابن ملكا ان الأقاويل المعرفة بالحدود والرسومات وتمثيلات لها اعاقات تحول دون فهم المعارف ، وبالتالى لا يتم الوصول اليها ، الا اذا كانت تلك الأقاويل صحيحة وتامة ، أما ما يتمثل فيه الاعاقة فهو

---

(١١٠) نفسه ، حـ١ ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(١١١) نفسه ، حـ١ ، ص ٤٧ .

(١١٢) نفسه ، حـ١ ، ص ٤٨ .

(١١٣) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٤٨ .

الفاسد والناقص من الأقاويل المعرفة(١١٤) ، وفسر ذلك كله ثم أجمل مراده بقوله : « وبالجملة فان المعرفة تكون ذاتية أو عرضية ، واكتساب الذاتية يكون بالأقاويل المؤلفة من أسماء المعانى الذاتية ، أعنى الحدود. واكتساب العرضية يكون بالأقاويل المؤلفة من أسماء المعانى العرضية ، أعنى الرسوم والتمثيلات . ومحصول التمثيلات يرجع الى محصول الرسوم ، لأن المماثلة والمشابهة والمخالفة أوصاف عرضية ، ومنها تلتئم الأقاويل التمثيلية ، فأفضل الحدود ما اشتمل على سائر الأوصاف الذاتية بترتيب يتقدم فيه عامها على خاصها ،وأعرفها على ما ليس بأعرف ، ودل بالفاظ معروفة مألوفة عند المعرف وأختصر الألفاظ مع استيفاء المعانى»(١١٥) .

وفى حديثه عن الأقاويل المعرفة يقول : أن هناك وسائل يمكن استخدامها ؛ وهى تعين على اكتساب الأقاويل المعرفة ، ويتم دلك بتصرفات عقلية محكومة بقوانين تعليمية ، وهى جمع وتفريق وجودى وذهنى لما يتصرف العقل فيه ويتوصل اليه به(١١٦) .

وعرف الجمع بأنه اكتساب المفردات المتكثرة ، الذوات وحدة عرضية وجعله قسمين(١١٧) .

تأليفى وهو الذى تتميز آحاده فى اجتماعها ،
والتركيبى وهو الذى تختلط آحاده وتتحد أجزاؤه ولا يدرك كل منها لوحده .

وقسم التأليفى الى قسمين وجودى ـ موجود فى العيان ـ ، وذهنى. وكذلك التركيبى جعله قسمين وجودى ، وذهنى ، والوجودى جعله أيضا قسمين طبيعى وصناعى ، وأعطى الأمثلة لكل نوع من أنواع تقسيمات الجمع(١١٨) .

---

(١١٤) **نفسه ، حا ، ص ٥٠ ـ ٥١ .**
(١١٥) نفسه ، حا ، ص ٥٤ .
(١١٦) نفسه ، حا ، ص ٥٥ .
(١١٧) نفسه ، حا ، ص ٥٥ .
(١١٨) ابن ملكا : المعتبر ، حا ، ص ٥٥ .

أما التفريق فعرفه بأنه تكثر الوحدات العرضـــية ، وتمييز الآحاد لاجتماعية الاختلاطية التركيبية والتاليفية ، فان وحدة الواحد قـــد تكون ذاتية وقد تكون عرضية(١١٩) ٠

وقسمه الى قسمين تفريق آحاد التاليف ويسمى قسمة وتفـــريفا ، والثانى هو تمييز احاد التركيب ويسمى تحليلا ٠ والقسمة جعلها قســمة كلى الى جزئياته ، وجعله على ثمانية أنواع ، وقسمة الكل الى أجزاء متشابهة(١٢٠) ٠

وأما التحليل فيقول أنه مقابل ومعاكس للتركيب ، فهو فى مقابلة التركيب الذهنى يكون فى المعانى الكلية ويسمى تحليل الحد والرسم ٠ وأما فى مقابلة التركيب الوجـــودى فيسمى التحليل بالعكس ، وهو اما طبيعى ـ كتحليل جسم الانسان الى الاخـــلاط ـ ، واما صناعى فذلك كتحليل السكنجبين(١٢١) الى الخل والعسل(١٢٢) ٠

وفى الكيفية التى يمكن بواسطتها استفادة الحدود والرسوم يقول : ان الحدود ما دامت عبارة عن معان مؤلفة ، فكذلك تحصـــيلها انما يتم بتحصيل المعانى المفردة التى تتالف منها الحدود ، وقد تعرف مفردات الحقائق برسوم وصفات عرضية(١٢٣) ٠

وبناء على ذلك فان اكتساب الحدود انما يتم أولا عن طريق تحصيل البسائط المفردة التى تكون حقائق المحدود ، ويتم ذلك عن طريق التدبير العقلى ، وكذلك الرسوم فان تحصيل بسائطها من الأوصاف العرضية انما

---

(١١٩) نفسه ، جـ١ ، ص ٥٦ ٠

(١٢٠) نفسه ، جـ١ ، ص ٥٦ ٠

(١٢١) السكنجبين : هو المركب من الخل والعسل ، ثم يسمى بهذا الاسم ، وان كان مكان العسل سكر أو مكان الخل لب السفرجل ٠ وأنواعه واخـــلاطه كثيرة ٠ الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ابن سينا : القانون ، جـ٣ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ٠

(١٢٢) ابن ملكا : المعتبر ، جـ١ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ٠

(١٢٣) نفسه ، جـ١ ، ص ٦١ ٠

يتم بالتحليل والتدبر ، أو الوجودى ، أو الاستدلالى(١٢٤) .

ثانيا : مذهبه فى العلوم وتحصيلها :

وبعد حديثه عن المعرفة والفـــرق بينها وبين العلم ، أكـــد أن العلوم « تكون بألفاظ ومعان مؤلفة ، والأقاويل هى الألفاظ الدالة عليها من حيث هى علوم لا من حيث هى معان»(١٢٥) ويقول ان العـــلوم يلزمها الصدق والكذب ، اذا ما نسبت الى الوجود فى الموافقة والمخالفة. على أن التصديق والتكذيب لتلك العلوم ينطوى تحت حكم النفس لها وفيها(١٢٦) . وقسم المعلومات المتحصلة الى صنفين :

الأول : وهو ما سماه بالعلم ، وهو الحكم فى القضـــايا بالاثبات والنفى(١٢٧) .

الثانى : وهو المعلومات المبنية على الأمور الوجـــودية التى تلك معانيها ، على أنه يستثنى من ذلك أشياء لا يحكم بمعانيها على أمـــور وجودية ، اذ أن من المعلومات ما يتقدم على الموجـــودات وتكون أسبابا للعلوم(١٢٨) .

ويقسم ابن ملكا المعلومات عامة ـ وهو ما عناه بالقضايا(١٢٩) ـ الى حمـــلية وشرطية(١٣٠) فالحملية هى التى تحـكم بشىء ويسمى

---

(١٢٤) ابن ملكا : المعتبر ، حا ، ص ٦١ .

(١٢٥) ابن ملكا : المعتبر فى الحكمـــة ، حا ، ص ٧٠ . يقول د. كارناب : « ونحن نقصد بالعلم هنا مجموع العبارات المعروفة ، ولست أعنى العبـــارات التى يصوغها العلماء فحسب ، بل انى أقصد كذلك العبارات التى نصادفها فى حيـــاتنا العادية فليس من الممكن فصل هذه عن تلك فصـــلا دقيقا » بنعبد العـــالى : درس الأبيستيمولوجيا ، ص ٤٨ .

(١٢٦) نفسه ، حا ، ص ٧٠ .

(١٢٧) نفسه حا ، ص ٧٠ .

(١٢٨) نفسه ، حا ، ص ٧٠ .

(١٢٩) القضية : هى القول الحازم ، مثل فلان كاتب ، أو فلان ليس بكاتب . الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٠ .

(١٣٠) ابن ملكا : المعتبر فى الحكمة ، حا ، ص ٧٠ .

محمولا أنه لشيء يسمى موضوعا ، أو أنه ليس له حكما متصلا ، والحكم بأنه له يسمى ايجابا ، وبأنه ليس له يسمى سلبا(١٣١) ، والحكم بالاثبات والنفى فى القضـــايا الحملية اذا كان ذلك حتما غير متوقف على شرط مجهول كقوله « الشمس طالعة»(١٣٢) ٠

وأما الشرطية فانها تقع تحت شرط مجهول الحـــكم والحصول ، معلوم اللزوم كقوله « ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجـــود » اذ أن الحكم بوجود النهار فى هذه القضية غير جـــازم بل متوقف على شرط مجهول وهو طلوع الشمس(١٣٣) ٠

وفرق بين القضايا الحملية والشرطية بأن الحمـــلية بسيطة اذا ما قيست على الشرطية ٠ وفى الشرطية تركيب لأن أجزاء القضية الشرطية قضيتان حمليتان قد صارتا قضية واحدة من أجل الحكم(١٣٤) ٠

ويذكر بعد ذلك تفصيلات كثيرة عن القضـــايا الحملية والشرطية حسب موضوعها حين يكون جزئيا أو كليا ، وما يمكن أن تتصف به كل قضية منها اما أن تكون محصورة أو مهملة أو مخصوصة(١٣٥) ٠

م تحدث عن جهات(١٣٦) القضايا والعـــوارض الخارجية التى يمكن أن تؤثر فيها ، بحيث لا يمكن معها الحصول على معلومة محددة، فذلك يقال فيه ممكن لأنه ليس على الوصف الذى قيل أنه ممكن ولا يمتنع

---

(١٣١) نفسه ، جا ، ص ٧٠ ٠

(١٣٢) نفسه ، جا ، ص ٧٢ ٠

(١٣٣) ابن ملكا : المعتبر فى الحكمة ، جا ، ص ٧٢ ٠

(١٣٤) نفسه ، جا ، ص ٧٣ ــ ٧٤ ٠

(١٣٥) المعتبر ، جا ، ص ٧٥ ، وفى تعريف القضايا المهمـــلة والمحصـــورة والمخصوصة ٠ انظر الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٠ ٠

(١٣٦) الجهات : هى ما فى الاذهان من الظنون والاعتقادات على الحقيقة ٠ ابن ملكا : المعتبر ، جا ، ص ٨٤ ٠

ان يكون عليه ، كأن يقال : الهواء بارد أو غير بارد ، فانه لايكون باردا بذاته ولا يمتنع عنه الحر والبرد بسبب العوارض الخارجية(١٣٧) .

طرق الاســـتدلال :

وفى الكيفية التى يمكن بواسطتها الحصول على المعرفة والعـلم ، يتحدث ابن ملكا فى ذلك عن طريقين هما :

الأول : القياس(١٣٨):

يقول أن القياس له دور رئيسى فى سبيل الحصـــول على المعرفة والعلم ، وذلك بتألف القضايا بعضها مع بعض على صورة يستفاد بعلمها الحاصل علم بمجهول(١٣٩) . على أنه لا يمكن أن يكون العلم الحاصل موجبا للعلم المستفاد كيفما أتفق ، وانما لابد من اعمال العقل والتفكر فى المجهول والمعلوم ، اذ لو كان الأمر كذلك فان الانسان لايحتاج فى تعلم العلوم المكتسبة من العلوم الحاصلة الى فكر وزمان ، ذلك أن العقـــل سينتهى من أول علم بمعلوم الى أقصى حدود المعلومات المكتسبة بغيـر كلفة ولا فكر ولا روية وفى أقصر زمان(١٤٠)

وذلك سيؤدى الى الغاء الفكر والتروى ، وهـــذا ليس من الأمور المنطقية عند العلماء ، اذ أن « العلم الحاصل انما يفيد علما بمجهـــول يحصلها الذهن بالروية والتفكير عن طريق البحث والطلب ، فيؤدى ذلك البحث والتفكير الى علم المجهول بالمعلوم واستفادته به »(١٤١) وذلك

---

(١٣٧) نفسه ، جـ١ ، ص ٧٨ .

(١٣٨) القياس : عبارة عن قول مؤلف من أقوال ، يلزم عن تسليمها لذاتها قول آخر ، فان كان المطلوب أو نقيضه مذكورا فيه سمى استثنائيا ، وان كان غير مذكور فيه سمه اقترانا .

الآمدى : المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، ص ٨١ ، الجرجانى: التعريفات ، ص ١٩٠ .

(١٣٩) ابن ملكا : المعتبر ، جـ١ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(١٤٠) نفسه ، جـ١ ، ص ١١٠ .

(١٤١) نفسه ، جـ١ ، ص ١١٠ .

بواحد من الطرق التالية :

* اما بغريزة النفس وفطرتها كهداية الطفل الى الرضاع ٠
* واما بالبحث والتفكير فى المعلومات التى تؤدى الى الصواب الموجب لذلك العلم المستفاد بالعلم السابق ٠
* واما بطريق تعليمى قانونى يعلمه أهل النظر والاعتبار من أرباب الغرائز المطبوعة ، والفطر السليمة الملهمة(١٤٢) ، وهذا الأخير هو ما عناه ابن ملكا ، فيدور القياس فى الوصـــول الى العـلوم والمعارف عن طريق العلم بالمعلوم الذى يؤدى الى العلم بالمجهول ، لنسبة وصلة موجودة بينهما تؤدى الى اعمال الفـــكر فى استخراج تلك الصلة المجهولة(١٤٣) ٠

وفى هذه الحالة قد يهتدى الانسان الى ذلك بعد زمان طويل من الدراسة والبحث والتفكير ٠ وقد يتوصل اليها الهاما أو بمحض المصادفة فى زمن قصير جدا ، وفى الحالتين هو ما حصل للقـــدماء من العلماء « فقد نظروا فى المعلومات وحكموا فى العلوم ، وقالوا الصدق من غير أن يعرفوا كيفية علمهم ونظرهم كيف كان ، وقد سبق الى العلوم والقول فيها من سبق قبل أن تكتب هذه الكتب المنطقية»(١٤٤) ٠

ويؤكد ابن ملكا أن القضية الموجبة والسالبة فى الحمليات ، والقضية الشرطية والجزائية فى الشرطيات تسمى اذا دخلت فى تركيب القـرائن القياسية مقدمة(١٤٥) ، وهو القول الســـابق علمه وتقريره فى الذهن ليستتبع بالعلم المطلوب ٠ وهـذه القرائن القاســـية بعضها مفيد ومنتج ويؤدى الى العلم بالمجهول ، والبعض منها لا يؤدى الى ذلك(١٤٦) ٠

---

(١٤٢) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ١١٠ ٠

(١٤٣) نفسه ، حـ١ ، ص ١١٠ ٠

(١٤٤) نفسه ، حـ١ ، ص ١١٣ ٠

(١٤٥) المقدمة : هى القضية تقدم فى صنعة القيـــاس ، الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٠ ٠

(١٤٦) ابن ملكا : المعتبر ، حـ ١، ص ١١٣ ٠

على أن القرائن المنتجة تختلف من جهة مقدماتها وما فيها من علم حاصل، فان منها ما علمه يقينى ، ومنها ما يغلب عليه الظن الصادق · ومنها ماهو مقنع · ومنها المعلومة الموهمة والمغلطة ، ومنها ما يؤثر فى النفس من غير ظن ولا تصديق(١٤٧) ·

ويعقد ابن ملكا بعـــد ذلك دراســـة مطولة يذكـــر فيها عكوس المقدمات(١٤٨) ، والقرائن القياسية(١٤٩) ، وضروب القياسـات من القضايا المطلقة ، وأشكال القياسـات وضروبها من القضـــايا الضرورية والممكنة والمختلطة ، والمقاييس المؤلفة من القضايا الشرطية الاستثنائية والاقترانية ، والقياسات المركبة ، واكتساب المقدمات ، وتحليل القياسات ودور ذلك كله فى استقرار النتائج ومعرفةالصادقة منها من الكاذبة(١٥٠)·

وعن الوسائل القياسية التى يمكن التوصل عن طريقها الى العلم والمعرفة ، ذكر ابن ملكا طرقا متعددة تناولها الكثير من العلماء المسلمين بالدراسة والبحث كالرازى ، وابن سينا ، والغـــزالى · ومازالت الى اليوم موضوع دراسة العلماء ، ولا زالت قابلة للبحث والنقاش وهى :ـ

١ ـ قياس التمثيل(١٥١) : قال ابن ملكا أنه يتكـــون من أربعة حدود : أكبر كلى ، وأوسط كلى محمول على الأصغر لأنه محمول على

---

(١٤٧) نفسه ، حا ، ص ١١٣ ·

(١٤٨) العكس فى المقدمة : هو تصيير محمولها موضوعا وموضوعها محمولا مع بقائها على ما كانت عليه من الايجاب والسلب · نفسه ، حا ، ص ١١٧ ·

(١٤٩) القرائن القياسية : هى قول مؤلف من أقوال فيها مواضع تصديق وتكذيب، وموضع التصديق والتكذيب فى القول هو الحكم الجـــازم أو الشرطى · نفســـه ، حـ ١ ، ص ١٢٢ ·

(١٥٠) نفسه ، صص ١١٧ ـ ١٧٤ ·

(١١) التمثيل : هو ما يعبر عنه بالقياس فى اصطلاح الفقهاء · الآمدى : المبين ص ٨٨ ·

ويقول الجرجانى : « هو اثبات حكم واحد فى جزئى لثبوته فى جزئه آخر لمعنى مشترك بينهما ، والفقهاء يسمونه قياسا · التعريفات ، ص ٦٩ ·

شبيهه فيكون الأصغر وشبيهه حدين ، والاكبر يحمل على الأوسط لحمله على شبيهه الأصغر كما يكون الأكبر(١٥٢) ٠

٢ ـ قياس المقاومة(١٥٣) : وهى مقدمة تؤخذ كبرى لانتاج قضية مقابلة لمقدمات القياس حتى يبطل بذلك القياس المعقود(١٥٤) ٠

٣ ـ قياس الرأى : وهو عبارة عن مقدمة كلية يميل اليها السامعون ولا تردها الأذهان ببديهتها ، تؤخذ فى قياسات خطبية وجدلية(١٥٥) ٠

٤ ـ قياس العلامة : ويجعلها قضـــية اما ضرورية واما محمـــودة مظنونه ، يكون الحد الأوسط فى القياس الكلى منها علامة لوجود شىء، وهو اما أن يصلح أن يكون حدا أو وسطا موضوعا لهما ، واما أن يصلح أن تجعل الأوسط محمولا عليهما جميعا(١٥٦) ٠

٥ ـ قياس الفراسة(١٥٧) : جعله علما قائما بذاته من جملة العلم الطبيعى ، يكون للأنفس السليمة ، غـريزة يصـــدر عنها الحكم لذاتها وطباعها ٠ وهذا علم ذلك الحكم الذى هو للنفس بغريزتها وفطرتها من غير تعليم معلم ، كما تصدر الأشياء الطبيعية عن القوى الفعالة من غير فكر ولا روية(١٥٨) ٠

---

(١٢) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠١ ٠

(١٥٣) يقول الآمدى ان المقاومة عبارة عن قياس مؤلف ، لابطال مقدمة فى قياس آخر باثبات قضية أخرى هى أشد عموما منها ، مخالفة لها فى الكيف على ســـبيل التخيل ٠ المبين ، ص ٨٧ ٠

(١٥٤) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠١ ٠

(١٥٥) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠١ ٠

(١٥٦) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠٢ ، كذلك انظر الآمدى : المبين ، ص ٨٩ ، وانظر أمثلة كل حالة فى المصدرين ٠

(١٥٧) الفراسة : هو ما يعبر عنه عند الفقهاء بقياس الدلالة ٠ الآمـــــدى : المبين ، ص ٨٨ ٠

(١٥٨) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠٢ ٠

٦ ـ القياس البرهانى(١٥٩) : وخصص ابن ملكا لعلم البرهان مقالة كاملة تقع فى سبعة فصول ، وفى حديثة عن قياس البرهان يقول : أنه مرحلة أخيرة من مراحل البحث للحصول على المعرفة الحقة ، او المعلومة الصادقة ، فكان أن تحدث عن الأقاويل المعرفة فى التعليم والتعلم بالعبارة • وتبعه الحديث فى التعليم والتعلم فى الأقاويل المعنمة التى سماها بالقياسات • وتبين من ذلك أن التعليم فيه يكون من أشياء لأشياء بأشياء ، فالذى منه فهو المقدمات ؛ وأما الذى له فالنتائج ، وأما الذى به فصور القياسات والقرائن المنتجة الموجبة للعلم ، فالقياس بعلم النتائج من المقدمات تصور القرائن فى القياسات ، فيلزم فيه تصديق النتيجة من تصديق المقدمات ، اذا كانت على صورة الاقتران المنتج(١٦٠) •

وذلك كله يبين كيفية انتقال الذهن من تصديقه بالمقدمات الى تصديقه بالنتيجة(١٦١) •

ثم يقول فى تحديد البرهان : ان القياسات المؤلفة من تلك المقدمات والنتائج التى تنتج فيها تسمى برهانية ، ويسمى القياس الذى يؤلف عنها برهانا • والبرهان هو الحجة التى تفيد العلم اليقين الذى لاشك فيه(١٦٢) •

والقياس البرهانى ما كان من جملة القياسات المنتجة مؤلفا من هذه المقدمات ، اذ أن القياس المؤلف من مقدمات لاريب فيها بتأليف لا ريب فيه يفيد نتيجة يقينية الصدق لاريب فيها(١٦٣) •

---

(١٥٩) البرهان : هو الحجة ، وهو عبارة عن قياس يقينى المادة ، فان كان الحد الأوسط منه هو العلة الموجبة للنسبة بين طرفى المطلوب سمى « برهانا لميا » ، وان لم يكن هو العلة الموجبة لنفس النسبة بل الموجبة للتصديق بوقوع النسبة سمى « برهانا انيا » • الآمدى : المبين ، ص ٩٠ •

(١٦٠) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ •

(١٦١) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠٤ •

(١٦٢) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠٤ •

(١٦٣) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠٤ •

وأما من لا يشـــك فى شىء من ذلك فانه لايشـــك فى النتيجة ولا يرتاب بها فهذا هو البرهان • والقياسات والنتائج البرهانية فالمقدمات هى القضايا التى تؤلف منها النقياسات لتحصل منها النتيجة التى هى المطلوب • والنتيجة هى قضية حصل العلم بها(١٦٤) •

وفى أثناء الحديث عن القياس البرهانى لم ينس ابن ملكا أهمية وضرورة الادراك العقلى والادراك الحسى ، أو أهميتهما معا فى تكوين المعارف والعلوم •فضرورة العقل هى : ما كان الحكم فيها بغريزة النفس وفطرة العقل ، حتى اذا ما تصور العاقل فيها القضـــية بمفهومها حكم بفطرته فيها بايجاب(١٦٥) •

أما ضرورة الحس فهى فيما كان من الحكم بمقتضى ما أدركه الحس فى المحسوسات،كنور الشمس وظلمة الليل وحرارة النار وبرودة الثلج. أو ما جربه الحس ، فان العقل يحكم فى ذلك بما أدركه الحس(١٦٦).

ويتابع حديثه فى ذلك الى ان يقول : « فهذه هى أصناف المقدمات ولأوليات العقلية • والحسية منها هى مقدمات البرهان الذى تكتسب به العلوم الحكمية على نظام وترتيب كما قيل ، نتيجة عن مقدمة ، ومقدمة لنتيجة على ترتيب واجب فى الطبع ، وكل تعليم لا يجرى على نسقه وقانونه فليس من العلوم الحكمية »(١٦٧) •

٧ ــ القياس الجدلى(١٦٨) : وهى المسلمات التى لا يوقف أمرها على بيـــان ، بل تتسلم مع تصـديق أو تكذيب ، أو من غير تصـديق

---

(١٦٤) نفسه ، حـ ١ ، ص ٢٠٥ •

(١٦٥) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠٥ •

(١٦٦) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠٥ •

(١٦٧) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٠٨ •

(١٦٨) الجدل : تقرير الخصم على ما يدعيه ، من حيث أقر حقا كان أو باطلا ، أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعانده ، لاشتهار مذهبه ورأيه فيه • الخـــوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٤ •

ولا تكذيب(١٦٩) ، وتأليف هذه القياسات الجدلية من مقدمات ذائعة مشهورة ، اما على الاطلاق وهى التى يؤمن بها جمهور الناس ، واما ذائعة بالاضافة وهى التى يراها أكثر الأمم ويعتبرونها(١٧٠) .

الثانى : الاســـتقراء(١٧١):

يقول ابن ملكا : « الاستقراء هو أن يتبين وجود شىء كلى لشىء ، أو سلبه عنه لوجوده أو عدم وجوده فى جـــزئيات ذلك الكلى، فيكون الشىء الذى يتبين به هو موضـــوعات الشىء المبين له ، فيـكون الكلى المحمول بالايجاب والسلب كالطرف الأكبر ، وتلك الموضوعات كالطرف الأصغر ، والكلى المحكوم عليه كالطرف الأوسط ليتبين بأحـد الطرفين وجود الطرف الآخر للواسطة»(١٧٢) .

وابن ملكا هنا يتحدث عما يتحـــدث عنه الاستقرائيون فى العصر الحديث فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين ، على الرغم من المعارضة الشـــديدة التى وجهـــت الى منهجهم الذى يؤكد على أهمية الاستقراء فى الوصول الى المعرفة العلمية ، فالاستقرائيون يقولون : ان العلوم الاستقرائية تتميز بانها تستخدم الطرق الاستقرائية Inductive Methods وهم بذلك يؤكدون على أن منطق الكشف العلمى يتفق مع المنطق الاستقرائى(١٧٣) . على أن بوبر(١٧٤) وهو من أشد معارضى

---

(١٦٦) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠٨ .

(١٧٠) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٣٤ .

(١٧١) الاستقراء : عبارة عما يوجب نسبة كلى الى آخر بايجاب أو ســـلب لتحقيق نسبة تلك الكيفية الى ما تحت الكلى المنسوب اليه من الموضوعات ، وقيـــل هو : تعديد الجزئيات ثم الحكم بالقضية الكلية بعد . الآمدى : المبـين ، ص ٨٧ ، وعرفه الخوارزمى بقوله : هو تعرف الشىء الكلى بجميع أشخاصه : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٣ .

(١٧٢) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ١٩٩ .

١٧٣) محمد على : نظرية المعرفة العلمية ، ص ٤٣ .

(١٧٤) بوبر : كارل : باحث فى فلسفة العـــلوم أصـله نمساوى ولد فى فينا =

المنهج الاستقرائى يقول « ان الاســـتدلال الاستقرائى الذى ينتقـــل من القضايا الجزئية الى القضـــايا الكلية التى تتســـم بالعمومية Generality ليس له ما يبرره »(١٧٥) لأن ذلك قد يؤدى الى نتيجة كاذبة « والعلوم تتقدم من خلال محاولتها تكذيب القضايا الكلية»(١٧٦) ٠

ولقد اعتمد بيكون (ت١٦٢٦م)(١٧٧) أيضا فى دراسته للعـــلوم لا سيما الحركة، على مبدأ الاستقراء الذى يعتمد على التجربة التى وضع لصلاحيتها ثمان نقاط(١٧٨) ، كان جابر بن حيان قد تحدث عنها فى كتابه « كتاب البحث »(١٧٩) ، وأخذها عنه كل من جاء بعده من علماء الطبيعة من المسلمين ، ومن بعدهم من الأوروبيين حتى روجر بيـكون نفسه ٠ وقد أفرد ابن ملكا فى الجزء الثانى من كتابه عدة فصول للحديث عن الحركة ، سواء عن حركة الافلاك ، أو الحركة الميكانيكية التى توصل فيها الى نتائج رائعة لا تختلف عما نعرفه اليوم(١٨٠) وقـــد اتبع فى دراسته تلك التجربة ثم أثبت ذلك كعلم عن طريق الاســـتقراء واستنباط النتائج ٠

ويجعل ابن ملكا الاســتقراء شـــبيها بالقياس الاقترانى ، الا أنه يختلف معه بأن الشىء الذى يجب أن يكون حدا أصغر فى القياس يكون

=

١٩٠٢م ودرس الفيزياء والرياضيات والفلسفة فى جامعـــة فينا ، ثم أصبح أستاذا للمنطق فى جامعة لندن ٠ بدوى ، موسوعة الفلسفة ، حـ١ ، ص ٣٦٩ ٠

(١٧٥) محمد على : نظرية المعرفة العلمية ، ص ٤٣ ٠

(١٧٦) نفسه ، ص ٣٥ ٠

(١٧٧) بيكون : فيلسوف وسياسى انجليزى ، كانت حياته مضطربة بالاحداث ، اشتغل بالفلسفة والعلوم والسياسة وصنف فيها مصنفات عديدة لمعـــلومات موسعة انظر ،بدوى : موسوعة الفلسفة ، حـ١ ، صص ٣٩٣ ــ ٣٩٩ ٠

(١٧٨) الجابرى : مدخل الى فلسفة العلوم ، حـ٢ ، ص ٢٠ ٠

(١٧٩) ميكروفيلم مركز البحث واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٧٦ معارف عامة ٠

(١٨٠) شوقى : تراث العرب فى الميكانيكا ، ص ٨٧ ٠

واسطة فى الاستقراء ، ولذلك فالاستقراء أقرب الى الأذهان ، والقياس أقدم بالطبع(١٨١) ٠

ثالثا : نظرته الى العلوم وتصنيفها :

يقول ابن ملكا ان لكل علم منفرد خاص من العلوم موضوع واحد خاص به ٠ وجعل ذلك سمة للعلوم النظرية والعملية ٠ فالعلم النظرى ينظر فى ذلك الموضوع ويبحث عن أوصافه حتى يحصل له معلومة ، كالسماء لعلم الهيئة(١٨٢) ٠

وأما العلم العملى فينظر فى الموضوع لأجل عمل يعمله وتأثير يؤثر فيه ، فى أعراضه وخواصه التى له حسب ذلك العلم مثل بدن الانسان لصناعة الطب(١٨٣) ٠

والعلم الكلى له موضوع كلى ، وجزئيات ذلك الموضوع تكون تبعا لأجزاء ذلك العلم ومسائله ، فتكون الموضوعات فى القضايا - مطالب ذلك العلم - جزئيات لذلك الموضوع الكلى ، فتميزت العلوم بذلك عن بعضها البعض بتميز موضوعاتها(١٨٤) ٠

والموضوع الواحد عادة تشترك فيه العديد من العلوم ، ولكنها تختلف وتتباين فى الجهات ، فجسم الانسان لايكون موضوعا لصناعة الطب من كل وجه ، بل من جهة ما يصح ويمرض فقط ، ولعلم الفراسة من جهة شكله وخلقه اللذين يستدل بهما على ملكته واخلاقه(١٨٥ ٠

والعلم اليقينى عند ابن ملكا يمكن التوصل اليه فى ضوء العوامل التالية(١٨٦) :

---

(١٨١) ابن ملكا ، المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٠٠ ٠

(١٨٢) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٢١ ٠

(١٨٣) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٢١ ٠

(١٨٤) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٢١ ٠

(١٨٥) نفسه ، حـ١ ، ص ٢٢٢ ٠

(١٨٦) ابن ملكا : المعتبر ، حـ١ ، ص ٢٢٢ ٠

(أ) الموضوع : وهو مشترك لسائر المطالب والمسائل ٠

(ب) المحمول(١٨٧) : والمحمولات كثيرة فى مسـائله ، وهى الصفات والاعراض التى تعرض له بذاته ٠

(جـ) المبادىء : وهى التى تستخدم فى قياسـات ذلك الموضوع مقدمات لها ، تبرهن العلوم ٠

(د) المسائل وهى القضايا التى تبرهن فى العلوم ٠

(هـ) الأغراض والغايات : وجعل هـذا زيادة خاصة بالعـلوم العملية ، وغرضها تحقيق علة العمل كالصحة لصناعة الطب ٠ فالعلوم قد تكون المسائل المعلومة فيها هى الغايات المطلوبة ، وليست الأعمال هى الغايات ٠ ومثال ما تقدم عن صناعة الطب ، فموضوعها بدن الانسان ، ومبادئها تكون من العـلم الطبيعى والحس والتجربة ٠ ومسائلها هى : كيف تحفظ الصحة ويزال المرض وبماذا ٠ ومحمولاتها المصح والمرض والنافع والضار ، وغايتها حفظ الصحة وازالة المرض(١٨٨) ٠

أن هذا الطريق الذى اتبعه ابن ملكا والمتمثل فى النقـاط الخمس السابقة الذكر هى الفكرة الأساسية التى أعتمـد عليها فرانسيس بيكون (ت ١٦٢٦م) وكذلك ديكارت (ت١٦٥٠م) ، فى نظرتهما الى المعرفة والعلوم ، وكيفية الحصول على الحقيقة العلمية بالتجريب فى العلوم التطبيقية٠ اما المنهج الفرضى الاستنتاجى والذى دعى اليه ديكارت(١٨٩) فهو يتمثل حقيقة فيما أكده ابن ملكا ، اذ يقول ديكارت :

« لقد عملت أولا على الحصول على المبادىء الأولى التى هى علة كل ما يوجد ، ثم بحثت بعد ذلك عن الموجودات العامة التى ننسبها الى

---

(١٨٧) المحمول : هو مايحكم على شىء آخر بأنه هو أو ليس هو ٠ الآمدى : المبين ، ص ٧٥ ٠

(١٨٨) ابن ملكا : المعتبر ، جـ١ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ٠

(١٨٩) الجابرى : مدخل الى فلسفة العلوم ، جـ٢ ، ص ٥٠ ٠

هذه الأسباب الأولى»(١٩٠) ٠

ويعلل ابن ملكا سبب تفصيل العلوم الى الأصناف التى فصلت اليها ، ولم تبق علما واحدا ، فيقول : ان سبب ذلك يعود الى المتعلمين فى تعلمهم ٠ ذلك آن المجهولات انما تعرف وتعلم بأمور هى اعرف منها وأسبق علما ، وذلك نفسه يؤدى الى تعلم علم ثان وثالث ورابع ، اذ أن العلوم والمعلومات لو اتسقت على نسق واحد بترتيب واحد من أعرف الى ما ليس باعرف ، لصح ان يكون العلم واحدا(١٩١) ٠

على أن ذلك لا يمكن أن يكون سنة ، فتشعبت العلوم الجزئية عن الكلية بتشعب الموضوعات ومبادىء البيانات ، والمطالب فى النظريات، والاغراض فى العمليات ٠ فخرجت من العلم الكلى علوم أخرى تتحد معه فى الموضوع وتختلف معه فى الجهات والغايات ، « فعلم الطب من العلوم الجزئية تحت العلم الطبيعى من حيث هو علم نظرى ، ومن جهة غايته العملية فهو صناعة خاصة مخالفة للعلم الطبيعى فى الغاية دون الموضوع»(١٩٢) ٠

وفى مسألة تصنيف العلوم الحكمية وترتيبها يقول : أن العلوم منها ما هو موجود فى الأعيان ـ المحسوسة منها ـ ومنها الذهنية ، ومن الموجودات ماهو متقدم فى المعرفة ، ومنها ما هو متأخر فى المعرفة ، فالعلوم مترتبة على ذلك النحو أيضا فمنها ما هو أولى بالتأخير وهو المتأخر فى المعرفة عن ذلك المتقدم(١٩٣) ٠

ولذلك تصنفت العلوم الى أصناف عدة ، ولم ترتب فى التعليم على شكل مسائل متتالية يشتمل عليها علم واحد ، فخرج من العلوم الحكمية(١٩٤) :

---

(١٩٠) ابن ملكا : المعتبر ، جـ٢ ، ص ٥٣ ٠

(١٩١) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٢٣ ٠

(١٩٢) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٢٤ ٠

(١٩٣) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٢٥

(١٩٤) ابن ملكا : المعتبر ، جـ١ ، ص ٢٢٦ ٠

(أ) علم المنطق ٠

(ب) علم الطبيعات ٠

(جـ) علم الرياضيات ٠

(د) علم الالهيات ٠

وكذلك صنفت العلوم الذهنية الى(١٩٥) :

(أ) ذهنية صرفة لا يتعدى حكمها ما فى الأذهان ٠

(ب) ذهنية يتعلق حكمها بأشياء وجودية ٠

والذهنية الصرفة منها علم العلم ، وهو المنطق الذى يفيد القوانين العقلية التى لا بد منها فى عمليات التعلم والتعليم ، والقبول والرد ، والتصديق والتكذيب ٠ ومنها العـــلم وهو علم الكميات ، أى المقـادير والاعداد ويجمعها علم الهندسة ويشاركها علم العدد ٠ وعلم الاعداد منه علم خواص الاعداد وهو الارثماطيقى ، ومنه علم الحساب الذى يتعلق بالجمع والتفريق فى الاعداد(١٩٦) ٠

واما العلوم الذهنية التى يتعلق حكمها بأشياء وجودية فهى عـ هيئة الأفلاك وحركاتها ، وهى أقرب الى الموجودات منها الى الذهنيات، ولكنها نسبت الى الذهنية من أجل ارتباطها بالهندسة والحساب(١٩٧) ٠

★ ★ ★

وبعد ، فهذه صفحة من صفحات تاريخ العلوم عند المسلمين ، تعبر عن وجه مشرق من أوجه الحضارة الاسلامية ٠٠٠ وعن علم من أعلام الفكر الاسلامى فى صورة من صوره البناءة ٠

---

(١٩٥) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٢٦ ٠

(١٩٦) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٢٦ ٠

(١٩٧) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٢٦ ٠

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الخطية :

- جابر بن حيان : أبو موسى الـــكوفى (ت٢٠٠هـ/٨١٥م) (كتاب البحث) ميكروفيلم مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى (١٧٦ معارف عامة) .

ثانيا : المصادر المطبوعة :

- ابن ابى اصيبعة : أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدى (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) .
(عيون الانباء فى طبقات الأطباء) تحقيق د/نزار رضا ،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م .

- ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .
(النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) دار الكتب المصرية ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- ابن تيمية : أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبـــد الحليم (ت ٨٢٧هـ/١٣٢٨م) .
(درء تعارض العقل والنقل) تحقيق الدكتور/محمد رشاد ســالم الأجزاء ٢ ــ ٣ ــ ٩ ــ ١٠ ، طبعة جامعة الامام محمد بن ســعود الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
(منهاج السنة النبوية) تحقيق الدكتور/محمد رشاد سالم الأجزاء ١ ــ ٢ ــ ٥ ، طبعـــة جامعة الامام محمد بن ســـعود الاســـلامية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (كتاب الرد على المنطقيين) نشر ادارة ترجمان السنه ، لاهور ، باكستان ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

(وفيات الأعيان وانباء الزمان) حققه د/احســـان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٠

ـــ ان سينا : الشيخ الرئيس الحسين بن على (ت ٤٢٨هـ) ٠
(القانون فى الطب) مكتبة المثنى ، بغداد ، (د٠ت) ٠

ـــ ابن ملكا : أبو البركات هبة الله البغدادى (ت ٥٤٧هـ/١١٥٢م)٠
(الكتاب المعتبر فى الحكمة) الأجزاء ١ ـ ٢ ـ ٣ دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٧هـ ٠

ـــ الآمدى : سيف الدين (٦٣١هـ/١٢٣٣م) ٠
(المبين فى شرح معـــانى ألفـــاظ الحكماء والمتكلمين) تحقيق د/حسن محمود الشافعى ، القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠

ـــ البيهقى : ظهير الدين أبى الحسن على بن زيد (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م)
(تاريخ حكماء الاسلام) تحقيق/محمد كرد على ، المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ٠

ـــ الجرجانى : على بن محمد الحسينى (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) ٠
(التعريفات) مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٨م ٠

ـــ الحسينى : الوزير محمد بن محمد بن عبد الله ابن النظام (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) ٠
(العراضة فى الحكاية السلجوقية) ترجمة د/عبد النعيم حسنين ، حسين أمين ، جامعة بغداد ١٩٧٩م ٠

ـــ الخوارزمى : محمد بن أأحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) ٠
(مفاتيح العلوم) اعداد د/عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة العربية ، القاهر ، (د٠ت) ٠

ـــ الشهرزورى : شمس الدين محمد بن محمود (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م)٠
(نزهة الأرواح وروضة الأفراح فى تاريخ الحكماء والفلاســـفة) جزآن ، الطبعة الأولى دائر المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ٠

ـــ صدر الدين الحسينى : أبو الحسن على بن ناصر (ت بعد ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) ٠

(زبدة التواريخ ـ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) تحقيق د/ محمد نور الدين ، الطبعة الأولى ، دار اقرأ ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م٠

ـــ الصفدى : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ٠

(نكت الهميان فى نكت العميان) المطبعة الجمالية ، مصر ١٣٢٩هـ/١٩١١م ٠

ـــ القفطى : الوزير جمال الدين على بن القاضى الاشرف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ٠

(اخبار العلماء بأخبار الحكماء) ، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ٠ لبنان (د٠ت) ٠

ـــ المبشر بن فاتك : الأمير أبو الوفا (ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م) ٠

(مختار الحكم ومحاسن الكلم) تحقيق د/عبد الرحمن بدوى ، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت١٩٨٠م٠

ـــ ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م) ٠

(الفهرست) تحقيق تجداد بن على المازندرانى ، ط٣ ، دار المسيرة ١٩٨٨م ٠

ـــ ياقوت : ابن عبد الله الحموى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

(معجم البلدان) دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ٠

ثالثا : المراجع العربية :

ـــ بدوى عبد الرحمن

(موسوعة الفلسفة) جزآن ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٤م ٠

ـــ بنعبد العالى : عبد السلام ، يفوت : سالم
(درس الابيستيمولوجيا) دار توبقـــال للنشر المغـــرب ، الدار البيضاء ١٩٨٥م ٠

ـــ الجابرى : محمد عابد
(مدخل الى فلسفة العلوم) دراسات ونصوص فى الابيستيمولوجيا، جـ٢ ، مطبعة دار النشر المغربية (د٠ت) ٠

ـــ روزنتال : م ـ يودين : ب ٠
(الموسوعة الفلسفية) ترجمة سمير كـــرم الطبعة الثانية ، دار الطليعة ـ بيروت ١٩٨٠م ٠

ـــ شـــوقى : جلال
(تراث العرب فى الميكانيكا) ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٣م ٠

ـــ كون : توماس ٠
(بنية الثورات العلمية) ترجمة شوقى جلال ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م ٠

ـــ محمد على : د/ماهر عبد القادر ٠
(نظرية المعرفة العلمية) دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ٠